فكر سيِّد قطب رحمه الله
بين رأيين

تأليف:

سعد بن عبد الرحمن الحصيِّن

حفـظ حقـوق التـــأليف والطبـــع قـــانون وضعـــي،
والعلـوم الشـــرعية لا يجـوز تحجيرهـــا ولا احتكارهـــا
ونشرها إبتغاء وجه الله عبادة صالحة.

الطبعة الأولى
١٤٢١ - ٢٠٠٠

« المقدمة »

إنَّ الحمد للّه نحمده ونستعينه، من يهده اللّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ أما بعد:

فإنَّ رسالةً خاصَّةً مِنَ العالم المحقِّق الشيخ بكر بن عبداللّه أبو زيد إلى أخيه العالم المحقق الشيخ ربيع بن هادي المدخلي -حفظهما اللّه- حول فكر الأستاذ سيِّد قطب رحمه اللّه تُنشَرُ بطريقةٍ مُلِحّةٍ وغير مَشروعة منذ بضع سنين، ولا أكاد أَشُكُّ فيما يلي:

١) أَنَّ مَن يقف وراء نشرها بهذا الإلحاح والإسراف حركة مِنَ الحركات الموصوفة بالإسلاميَّة -أو أحد مؤيِّديها- لا ينقصها التنظيم ولا يعوزها التمويل؛ انتصاراً لأحد كبار مُفكِّريها -وإن خالفت كاتبها في منهاجه، وحاربت كتابه: «**حكم الانتماء إلى الفِرَق والأحزاب والجماعات الإسلاميَّة**»، وكتابه: «**براءة أهل السنَّة مِنَ الوقيعة في عُلماء الأمة**»-؛ انتصاراً لمنهاجها، ولأحد قادتها.

٢) أنَّ الشيخ بكـر كـان مُـتردِّداً في إيصـال رسـالته إلى الشيخ ربيع، بـل كـان مـتردِّداً في إجابـة طَلَبـهِ نَقـدَ كتابـه: «**أضواء إسلامية على عقيدة سيِّد قطب وفكره**» لولا إلحاح مؤلِّفه (ص ١٥)، فضلاً عن كراهيته للطريقة الاسـتفزازية التي نُشرت بها.

٣) أنَّ الشيخ بكر استشار أحد طلاب العلـم الشـرعي في تقديمها للشيخ ربيع أو إهمالهـا، وأُنسـي الاثنـان أَمرَهـا بضعـة أشـهر، حتَّـى اطّلـع عليهـا بعـض شـباب الحركيَّـة الحزبيَّة، فاستغلَّها الشيطانُ للوقيعةِ بين العـالِمَين المحقِّقـين، ونَصرِ عَلَمٍ مِن أعلام الفكر الحركي «الإسلامي» المبتَدَع.

ودليلي على صحَّة ذلك: أنَّ نشر الرسالة بدأ بعد مرور ما يقربُ مِن ثمانية أشهر على تاريخ كتابتهـا، وأنَّ كاتبهـا الشيخ بكر يؤكِّـدُ جهلَـهُ بالطريقـة الـتي أوصلتهـا للنشـر، وعدم رضاه بها، وعدم وجود توقيعه عليها.

وقد رأيت أنَّ النصيحةَ للّـه ولكتابـه ورسـوله ولأئمـة المسلمين وعامّتهم تُوجب عليَّ محاولةَ القضـاء علـى هـذه الفتنة المُغْرِضة بـين اثنـين مـن أبـرز دعـاة السـنَّةِ (في بـلادٍ ودولَةٍ أُسِّسَت مِن أوَّل يوم على تجديد الدين والدعـوة إلى مِنهاج النبوَّةِ في الدين والدعوة) مُتوكلاً على اللّـه وحـده، ومستنداً إلى فكر الأستاذ سيِّد قطب رحمـه اللّـه مِـن كتبـه،

وإلى مجموع آراء العالِمَين المحقّقَين: بكر وربيع -حفظهما اللّه قدوة صالحة-.

وكنت كتبتُ خطاباً موجزاً للشيخ بكر في بداية عاصفةِ اغتصاب رسالته ونشرها، لم يكن قصدي منها -يعلمُ اللّه- الردَّ عليه، بقدر ما كنت أحاول رَدعَ الحركيِّين الذين سرقوا رسالته ونشروها دون علمه ولا موافقته، بعد محاربتهم كتابيه: «حكم الانتماء»، و«براءة أهل السنة»؛ فرحاً بخروجه (في رسالة خاصّة) عن منهاجه العلمي الفريد في البحث والتمحيص، وكراهية لما وفقه اللّه إليه من تحريم مناهجهم وانعزالهم من قبل.

وما قصدت من خطابي له أكثر ممَّا قصدت من خطاباتي للوالد العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز، ومحدّث العصر العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمهما اللّه-: الوقوف في وجه استغلال مبتدعة التحزّب والتّعصّب أدنى أقوال العلماء، وردٌّ أحسَنِها.

«وجوه اتّفاق العالمين المحقّقَين واختلافهما»

قبل أن نضع فكر الأستاذ سيِّد قطب رحمه اللّه في ميزان التحقيق، يجدرُ بنا إجابة أكثرَ مِن سؤال عن وجوه اتّفاق العالِمَين المحقّقين: بكر أبو زيد، وربيع المدخلي، واختلافهما:

أ) هل يختلفان في المنهاج؟

الجواب: معاذ اللَّه! بل هما متَّفقان كل الاتِّفاق على الالتزام بمنهاج الكتاب والسنَّةِ، كما فهمه سلف الأمة؛ علماً وعملاً:

١) كلاهما درس علوم الشريعة، حتَّى بلغا أعلى درجات الدِّراسة العصرية (درجة الدكتوراه)، وتجاوزاها إلى آفاق العلوم الشرعيَّةِ الواسعةِ التي يَقصُرُ عنها أكثرُ الحاصلين على هذه الدرجة؛ ممّن لا يتجاوز مَبلَغُهم مِنَ العلم ألقابه الأعجمية.

وقد تميّز الشيخ بكر أبو زيد، وفَّقه اللَّه -في العالَمِ العربي والمسلم- برفضه حملَ لقب الدكتوراه الذي يتشبَّثُ به أكثرُ الحاصلين عليه، وبلغ به مَقْتُه هذا التقليد الأعجمي المبتدع تأليف رسالة بعنوان: «تغريب الألقاب العلميَّة» تبيِّنُ مجانبةَ هذه الألقابِ سَمتَ العالِمِ المسلم.

والحقَّ أنَّ كلاً مِنَ المحقِّقَين: الشيخ بكر والشيخ ربيع حفظهما اللَّه قدوة صالحة -في تَمَيُّزِهِمَا العلمي والعملي- أكبر من كل الألقاب الدراسية الحادثة.

٢) واصطفى اللَّه كُلاً منهما ليتبوأ أعلى وظائف العلم والعمل الشرعي؛ الشيخ بكر عضواً في هيئة كبار العلماء،

والشيخ ربيع رئيساً لقسم السنَّةِ بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبويَّة.

٣) وألَّف كل منهما العديد مِنَ الكتب والرسائل؛ نصراً وخدمة للدِّين الحق.

٤) وميَّز اللَّه كُلاً منهما بالالتزام بمنهاج النبوَّةِ في الدين والدعوة إليه، ونَشْرِ توحيد اللَّه بالعبوديَّةِ ومتابعةِ السنَّةِ، ومحاربةِ الشرك باللَّهَ في عبادته وما دون ذلك مِنَ البدعة.

٥) وأنكر كُلٌّ منهما المناهج البشريَّةَ الفكريَّةَ، والتبعيَّةَ للجماعات والأحزاب والفرق الدينية التي يحاول الشيطان أن يُفرِّقَ بها وحدة الأمة على التوحيد والسنة، وبَذَلَ كُلٌّ منهما جهداً عظيماً مباركاً في التحذير منها، وردِّ المسلمين -بعون اللَّه- إلى منهاج السنَّةِ المعصومَةِ.

ب) هل يختلفان في الوسيلة والأسلوب:

الجواب: أنَّهما لا يختلفان في الوسيلة التي اختارها اللَّه لكل أنبيائه ورسله في الدَّعوة إلى سبيله على بصيرةٍ مِن هدي الكتاب والسنة، وهي الكلمةُ منطوقةً ومكتوبةً، وما كان لهما -وهما متفقان على المنهاج النبوي- أن يختلفا على الوسيلة النبويَّة.

ولكنهما يختلفان في الأسلوب والأداة مِمَّا لا بأس بالاختلاف فيه.

١) يؤثِرُ الشيخ بكر الانقطاع للبحث العلمي الشرعي، بعيداً عن الاتصال المباشر بالناس؛ فهو يَصرِفُ جُـلَّ وقتـه بين مكتبتـه ومكتبـه، ولهـذا غلـب علـى انتاجـه العلمـي: البحث الموضوعي، وتجنُّب نقد المُعَيَّن، لم يخرج عنه -فيمـا أعلم- إلاَّ في بيانه عوار الشيخ: عبدالفتاح أبو غدة (رئيس حزب الإخوان المسلمين في سوريا) تجاوز اللّه عنّـا وعنـه، والشيخ: محمد بن علي الصابوني -ختم اللّه لنا وله باتبـاع السنة والبراءة من البدعة-.

٢) أمَّا الشيخ ربيع فيصرف كثيراً من وقته للقاء طلاب العلم والدعوة؛ فمنزلُهُ مفتوحٌ للجميع يدارس الموافـق لـه منهم والمخالف؛ ولهذا تميّز انتاجـه العلمـي بالـتركيز علـى بحـث مسـائل التوحيـد والشـرك والسـنَّةِ والبدعـة، ونقـد المخالفين له نقداً صريحاً مدوّياً.

٣) ونتيجةً لذلك اختلفا في النظر إلى فكـر سـيِّد قطـب رحمه اللّـه، وهـي أول قضيَّـة -فيمـا أعلـم، ولعلهـا آخـر قضية- يظهر فيها الخلاف بينهما:

يرى الشيخ بكر في أسـلوب سيِّد (المحلّـق) مـا يجـذب شباب الأمة إلى الدين، ويثير غيرَتهم على الحكم بمـا أنـزل اللّه أكثر مِمَّا يصرفهم عن منهاج النبوة، ويَحْذَر مِن تنميـة

الجرأة على تكفير الدُّعاة والمصلحين بما لا يتجاوزُ الخطأ في اختيار الألفاظ، وحرمان الأمة مِن جرأتهم في قول الحق.

ويرى الشيخ ربيع في فكر سيِّد -عفا اللّـه عنَّـا وعنـه- خَطَرَ الخلط بين الوحي اليقينيِّ الثابت، وبين الفكـر الظـني المضطرب المتناقض، وخطر الفتنـة في جـرأة سـيِّد -تجـاوز اللّه عنه- على التكفير بالمعصية، والإعراض عن التحذيـر مِنَ الإشراك باللّه في عبادته، وما دونه من البدع التي تلازم غالبيَّةَ المسلمين منذ قرون يتقرَّبون بها إلى اللّه، والإعراض عن نشر التوحيد والسنَّةِ، والانشـغال بـالمهم عـن الأهـم، والصغيرة عن الكبيرة الموبقة، ويرى أكـبرَ الخطـر في اتِّبـاع أكثر شبابِ الأمَّةِ (ومنهم طلاب العلـم الشـرعي والدعـاة إلى الإسلام) هذا النَّهجَ الـذي زُيِّـن لهـم، ونشـره في أكـثر مكتبـات المسـاجد، ودور القـرآن، والمراكـز الصيفيَّـةِ، والجمعيَّاتِ والرحلات المدرسيَّةِ.

جـ) هـل يخـالف الشـيخ بكـر زميلـه -في المنهـاج، والوسيلة، والدعوة إلى اللّه على بصـيرة- الشَّـيخَ ربيعـاً الرَّأيَ في خطر الفرق، والأحزاب، والجماعات الموصوفة بالإسلامية على حاضر المسلمين ومستقبلهم؟

والجواب: أنه يوافقـه تمـامَ الموافقـة في عموميـات هـذا الأمر وجزئياته.

يقول الشيخ بكر -أدام اللّه توفيقه- في كتابه الفريد: «حكم الانتماء إلى الفرق والجماعات والأحزاب الاسلاميَّة» (ص ٤٥)؛ تحذيراً من الخروج على جماعة المسلمين الواحدة بإحداث جماعات وأحزاب دينيَّة متعددة: «جماعة المسلمين على منهاج النبوَّة، لا تقبل التَّشطيرَ ولا التَّجزئة، فالنبيُّ ﷺ ثُمَّ صحابَتُهُ رضي اللّه عنهم فمن تَبِعَهُم بإحسان، كانت دعوتهم لتكوين (**جماعة المسلمين**) حاملةً رايَةَ التوحيد، لا (**لجماعة من المسلمين**)؛ وأنَّهم هم المسلمون، وهم الطائفةُ المنصورة، وهم الفرقة النَّاجية، وهم السَّلفُ الصَّالِح، وهُم مَن كان على مثل ما كان عليه النَّبيُّ ﷺ وأصحابه، وأَمَرَ بلزومهم، ونهى عن مفارقتهم والشذوذ عنهم، كما نهى عن تفرُّقِهم، ونصوصُ الكتاب والسنة في هذا متكاثرة».

[منها: قول اللّه تعالى: ﴿إن الذين فرقوا دِينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء﴾؛ فالتَّشيُّعُ لِفَردٍ أو جماعةٍ، أو منهاج محدث، أو تنظيم، أو سِمَةٍ خاصَّةٍ؛ مرادف للتَّفرُّقِ في الدِّين، والانعزال عن جماعة المسلمين].

ويقول وفقه اللّه (ص ٤٦): «هذا هو المفهومُ الشَّرعِيُّ لجماعة المسلمين، متآخون على مِنهَاجِ النُّبوَّةِ، ينتظمهم إمامٌ ذو شوكةٍ وَمَنَعَةٍ».

ويقول وفقه اللّـه (ص ٢٨): «وليس لهم جماعة من المسلمين، بل جماعتهم المسلمون، إذ الأصل لا يحتاج إلى سِمَةٍ خاصَّةٍ تُمَيِّزُهُ، إنَّما الذي يحتاج إلى اسم معيَّن هو الخارج عن الأصل مِن تلكُمُ الجماعات التي انشقت عن الأصل -جماعة المسلمين-».

ويقول وفقه اللّـه (ص ٤٦): «فإذا انخزل فرد من المسلمين، أو انخزلت فرقة عنهم؛ فهذا انشقاق على المسلمين وتفريق لجماعتهم، وهو في طبيعة حاله انخزال عن كل الإسلام على منهاج النُّبُوَّةِ، وعكسٌ لما أوصى به النَّبيُّ ﷺ من اعتزال الفرق كلِّها، ولزوم جماعة المسلمين، فهذا اعتزل جماعة المسلمين والتزم بالفرقة المفارقة لهم باسم أو رسم».

ويقول وفقه اللّه (ص ٤٧): «فلا يجوز عقد الموالاة على اسم دون اسم الإسلام، ولا الموالاة على رسم دون رسم الإسلام، ولا موالاة بعض المسلمين دون بعض تحت اسم معين لجماعةٍ دون جماعةٍ آخرين».

ويقول وفقه اللّه (ص ٢٩): «واللّه -تعالى- قد سَمَّانا المسلمين، فلا نعدل إلى أسماء أحدثها قوم، وسَمَّوْها -هم وآباؤهم- ما أنزل اللّه بها مِن سلطان».

ويرى وفقه اللّـه (ص ٨): «أن هذه الأحزاب، والجماعات الإسلاميَّة القائمة في عصرنا مرفوضة سنداً

ومتناً، وأنها امتداد للفرق والطوائف التي انشقت عن جماعة المسلمين بعد عصر الخلافة الرَّاشدة، وإن اختلفت في اللَّقب والشِّعار، وشيء مِن التخطيط والمنهج».

وهذا البيان المدوّي مِن الشَّيخ بكر عن مخالفة الجماعات والأحزاب الإسلاميَّة شَرْعَ اللّه بمجرد وجودها -فضلا عن آثارها- هو رأي الشيخ ربيع، لا يزيد عليه، بل قد يتردَّد -مثلي- في قبول حكم الشيخ بكر على الجماعات والأحزاب الإسلاميَّة بـ «الانخزال عن كُلِّ الإسلام على منهاج النبوَّةِ» (ص ٤٦).

وهما مُتَّفِقَان بصِفَةٍ خاصَّةٍ على حفظ جزيرة العرب مِن تعدُّدِ الجماعَات والأحزاب الموصوفة بالإسلاميَّة؛ لأنَّ اللّه ميّزها بالنُّبوَّةِ والوحي، والهجرة والخلافة الرّاشدة، والفقه في الدِّين في صدر الإسلام، ثُمَّ ميَّزها بتجديد الدِّينِ والدعوة على منهاج النُّبوَّة في القرون الثلاثة الأخيرة.

يقول الشيخ بكر في كتابه «خصائص جزيرة العرب» (ص ٨٦): «والجماعات إن استشرى تعدُّدها في الجزيرة؛ فهو خطر داهم يهدد واقعها ويهدم مستقبلها».

وقال (ص ٨٨): «فواجبٌ -واللّه- تنظيف هذه الجزيرة من تلكم المناهج الفكرية المبتدعة والاهواء الضَّالة،

وأن تبقى عنوان نَصرٍ للكتاب والسنَّةِ، والسير على هـدي سلف الأمَّة، حرباً علَى البدع والأهواء المضلَّة».

د) هل يُخالف الشـيخ بكـر أخـاه الشـيخ ربيعـاً في وجوب المحافظة علـى منهـاج النُّبـوَّة في الدَّعـوة علـى اختلاف الزَّمان والمكان والأحوال؟

والجواب: حاشا للّه! بل يوافقه كل الموافقة.

يقول الشيخ بكر وفقه اللّه عن منهاج الدعوة: «حقيقـة الدَّعوة توقيفيَّة، لا مجال للاجتهاد فيها، حقيقةُ الدَّعوةِ أمـرٌ ثـابتٌ لا يتغـيَّرُ ولا يتحـوَّلُ بتغـير الأزمـان والمكـان والأحوال». «حكم الانتماء» (ص ١٢٧).

بل إنَّ الشيخ بكراً يرى أنَّ وسيلة الدعوة توقيفيَّة كذلك.

يقول -نصر اللّه به مِنهاج النُّبوَّة-: «والأصل في وسائل نشر الدعوة كذلك التَّوقيف على منهاج النبوَّة، وقـد صـح عن النبي ﷺ: «مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منـه؛ فَهُـوَ رَدٌّ» [متفق عليه]، وفي لفظ [لمسلم]: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو رد». «حكم الانتماء» (ص ١٢٧).

وقال وفقه اللّه: «مِن الوسائل التي تُهَجِّنُ الدَّعوة، وتثير الشغب، وتجعل الأمَّة شِيَعًا: تلكُمُ البيعـةُ البدعيَّـةُ الممتـدَّةُ مِـن معـين المتصوِّفَـةِ إلى مسـتحدث بعـض الجماعـات

الإسلاميَّة، وهكـذا الأهـواء يجـرّ بعضهـا بعضـاً». «حكـم الانتماء» (ص ١٣٠ - ١٣١).

ثم قال وفقه اللّه: «وهذا محـل إجمـاع الامـة، كمـا قـال القرطبي رحمه اللّـه في «تفسـيره» (١/ ٢٧٣): «فأمَّـا إقامـة إمامين أو ثلاثة في عصر واحــد، وبلـد واحـد؛ فـلا يجـوز إجماعاً». «حكم الانتماء» (ص ١٣١).

أمَّا الشيخ ربيع فَكُلُّ كتابه: «منهــج الأنبيـاء في الدعـوة إلى اللّه فيه الحكمة والعقل» تأكيدٌ لهذا الحكم الشَّرعِيِّ.

يقول وفقه اللّه في مقدِّمتِهِ: إنَّ مقصده مِن تأليفه: «بيان منهج الأنبياء في الدَّعوة إلى اللّه في ضوء الكتـاب والسُّـنَّة، وبيان مزاياه الـتي لا يُشـارك فيهـا، وبيـان ضـرورة اتباعـه وحده؛ لأنَّه الطريق الأوحد الذي يوصل إلى اللّه ويكسـب رضاه، وهو السَّـبيلُ الأوحـد لانقـاذ الأمَّـة، والموصـل إلى السِّيَادَةِ في الدنيا والسَّعادَةِ في الآخرة» (ص ١٦).

بل إنَّ سيِّد قُطب نفسه رحمه اللّه لا يخالفهما في القول، وإن خالَفهما في فهم مِنهاج النُّبوَّة، وبالتالي في العمل به.

يقول رحمه اللّه: «مصلحة الدَّعوة الحقيقيَّةِ في اسـتقامتها علـى النَّهـجِ [النَّبَـويِّ] دون انحـرافٍ قليـل أو كثـير، أمَّـا النتائج؛ فهي غيب لَا يعلمه إلاَّ اللّه، فلا يجوز أن يَحْسِـب حملة الدعوة حساب هذه النتائج، إنَّما يجب أن يمضوا على

نهج الدَّعوة الواضح الصَّريح الدَّقيق، وأن يَدَعُوا نتائجَ هذه الاستقامَةِ للّه، ولن تكون إلاَّ خيراً في نهاية المطاف.. ولقد تتحوَّلُ (مصلحةُ الدَّعوة) إلى صَنَمٍ يتعبَّدُهُ أصحاب الدَّعوة، وينسون معه منهج الدعوة الأصيل». «في ظلال القرآن» (٤/ ٢٤٣٥).

هـ) هل يُخالف الشَّيخ بكر أخاه الشَّيخ ربيعاً في قيمة كتب الأستاذ سيِّد رحمه اللّه عامة؟

الجواب: أنَّ الشيخ بكر بيَّن في رسالته الخاصَّةِ (المفترى عليه نشرها): أنَّه [على سعَةِ اطِّلاعه وتَتَبُّعِه مطبوعات العلوم الشَّرعية] «لم تكن له عناية بقراءة كتب سيِّد وإن تداولها الناس»؛ فهو أكثر عزوفاً عنها وإهمالاً لها مِن الشَّيخ ربيع، ولكنّ هَول ما ذُكِرَ عنه في كتاب: «أضواء إسلاميَّة على عقيدة سيِّد قطب وفكره» دفعه «إلى قراءات مُتَعَدِّدَةٍ في عامَّةِ كتبه؛ فوجد فيها خيراً كثيراً» (ص ١٣).

وطلب مِن اللّه المغفرة «لسيِّد كلامه المتشابه الَّذي جنح فيه بأسلوب وسَّع فيه العبارة» (ص ٨).

وخطَّأ سيِّدًا (فيما سَمَّاه تمدُّدًا في الأسلوب) لِوَصْفِه كلام اللّه بأنَّه «من صنع اللّه لا مِن صنع الناس» (ص ١٠).

وأشار إلى «عثراتٍ في سياقات سيِّد، واسترسالٍ بعبارات ليتَهُ لم يَفُه بها» (ص ١٣).

وأقرَّ «بيان ما تحققنا خطأه فيه» (ص ١٤).

ولكنَّه يُخالف الشيخ ربيعاً فيما وصفه بأسلوب التَّوتّر، والتَّهيُّج، والتَّهجُّم، مِمَّا يقوِّي «في نفوس الشَّبيبَةِ جُنوحَ الفكر بالتَّحريم [والتضليل، والتَّبديع، والتكفير] دون بيِّنةٍ كافيةٍ للاثبات» (ص ١٢).

ويرى أن خطأ سيِّد [مَهْما أَوْهَم] لا يوجب حرمان الأمَّة من «تركيزه على توحيد الحاكميَّةِ والتشريع، لِمَا رأى من هذه الجرأة الفاجرة على إلغاء تحكيم شرع اللّه، من القضاء وغيره، وإحلال القوانين الوضعيَّةِ بدلاً عنها» (ص ٤ و ٩)، ويرى أنَّ هذا يشفع لسيِّد، ويكفِّرُ عنه أخطاءَهُ، ويستوجب حِمَايتَهُ مِنَ الوقيعة فيه.

وكذلك الشيخ ربيع؛ كان أسبق مِنَ الشيخ بكر إلى قراءة كتب الأستاذ سيِّد، ووجد فيها خيراً كثيراً، ونقل عنه -كما ذكر الشيخ بكر- وبيَّن صوابه في بعض آرائه، ولكنَّه وضع صوابه وخطأه في ميزان المصلحة العامة للإسلام والمسلمين، ورأى مَبلَغَ تأثُّرِ الشَّباب بخطئه أكثر من تأثّرهم بصوابه؛ فرأى من واجبه بيان أخطائه.

وكل قارئ لكتابٍ يُحسن الظَّنَّ بمؤلِّفه، فهو حري أن يجد فيه ما يرضيه، فكم نالت «الرسالة القُشيرية» و«إحياء علوم الدين» مِنَ الثناء والنقل منهما، وهما أهمّ مَنابعِ التَّصوُّفِ ومراجعِهِ، بل قال لي أحد (علماء السُّنّة) في بلاد الشام: إنَّه قرأ في «الفتوحات المكيَّة» فوجد فيها توحيداً عميقاً، فلما وضعتُ يَدَهُ على مثال التَّفسير الذي ارتضاه مِنَ الملامتِيَّةِ لقول اللّه تعالى: ﴿إنَّ الذِينَ كفروا﴾؛ «أي: سَتَروا مَحبَّتهم للّه عن غيرهم»، ﴿سواء عليهم أأنذرتهم﴾ «يا محمد» ﴿أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ «بك؛ لأنَّهم لا يأخذون إلاَّ عنّي»، ﴿ختم اللّه على قلوبهم﴾ «فليس فيها إلاَّ محبَّتي» ﴿وعلى سمعِهم﴾ «فلا يسمعون إلاَّ مِنِّي»، ﴿وعلى أبصارهِم غشاوة﴾ «فلا يرون إلاَّ إيَّاي»، ﴿وَلَهُم عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ «إشارة إلى عذوبة جزائهم عند اللّه»؛ عَجِبَ مِن وجود هذا الكتاب في مكتبته قريباً مِن نصف قرن، وهو لا يعرف أنَّ فيه طامَّةً مثل هذه، فبيَّنتُ له أنَّ فيه مِن مثلها كثير، وفي «فصوص الحكم» وغيره أكثر وأشنع.

و) هل يَتَّفِق الشَّيخ بكر مع الأستاذ سيِّد أو يُخالفُه في غالب فكره: منهاجاً وأسلوباً؛ كما يفعلُ الشَّيخ ربيع؟

والجواب: أنَّه يخالفه بالقَدرِ الذي يُوافق به الشيخ ربيعاً؛ مِن حيث اختيارهما منهاجَ الأئمَّةِ الأوَلِ في القرون

المفضَّلَةِ، ولغة القرآن والسُّنَّة، واختيار سيّد منهاج الفكر وأسلوب العصر.

وفي نهاية هذا البحث تفصيلٌ لمخالفة الشيخ بكر الأستاذ سيِّد قُطب رحمه اللّه في الأسلوب والمنهاج مِن خلال عرضٍ لمخالفته الفكر الإسلامي بعامَّه.

« ميزان النقد الشرعي »

ميزان النَّقد في هذا البحث لما قال سيِّد رحمه اللّه وما قيل عنه، يَقُوم على:

١) التَّبيُّن والتثبُّت قَبلَ الحُكْم، قال اللّه تعالى: ﴿يأيُّهَا الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإٍ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾، فلا يجوز الحكم عليه بمجرد رواية مُؤَيِّدٍ أو مخالفٍ له، أو إشاعةٍ عنه بخير أو شرٍّ.

وعليه؛ فلم يكن من سُبُل العلم والتحقيق أن يردّد الشيخ بكر في رسالته (المفترى عليه نشرها) إشاعة لا يعرف مصدرها، مِن أنَّه طُلِبَ مِن سيِّد أن يُسَطِّرَ بقلمه كلمات اعتذار فقال: «إن أصبعاً أرفعه للشَّهادة لن أكتب به كلمة تضارها.. أو نحو ذلك» (ص ١٤)، وبخاصة إذا رُوِيَت هذه الإشاعة في معرض المطالبة بالتَّغاضي عن زلاَّت مَن رُويت عنه، وليس من عادة المحاكم العسكرية

والأمنية طلب الاعتذار ممّن اعترف بالتخطيط لاغتيال رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وعدد من كبار الموظفين، ونسف محطة الكهرباء، وعدد من المنشآت في العاصمة وإن سماه سيّد رحمه اللّه دفاعاً عن النفس. «لماذا أعدموني» (ص ٥٠ - ٦١).

٢) الأحكام البشريَّةُ لا تكون إلاَّ على حاضر وماضي الأقوال والأفعال، أمَّا ما يُضمِرُهُ القلبُ وما يُضمِرُهُ الغيبُ؛ فحكمه إلى اللّه وحده.

وعليه؛ فلم يكن مِن سُبُلِ العلم والتَّحقيقِ ما ردَّدَهُ الشيخ ربيع مِن رَميِ سيِّد بالتقيَّةِ، وبمحاولة إيهامِ القارئ اعتقادَه ما لا يعتقد، ولا الحكم عليه بما كان سيفعلُ لو قامت لِحزبِهِ دولةٌ.

والقرائنُ ليست حجَّة في مثل هذا، بدليل قول النبي ﷺ لأسامةَ رضي اللّه عنه: «فهلاَّ شققت عن قلبه». متفق عليه. وقال اللّه تعالى عن المشركين: ﴿إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون اللّه ويحسبون أنهم مُهتدون﴾، فمن حقِّ المسلم على المَسلم إحسان الظَّنِّ بنيّته مهما بلغت أخطاؤه، فلن يكون أسوأ ممَّن قال اللّه فيهم: ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾.

٣) عرض اقوال سيِّد رحمه اللّه على نصوص الوحي كما فهمها أئمة العلم في القرون المفضَّلَةِ، وقبول ما وافقها، ونبذ ما خالفها.

ومع إحسان الظَّنِّ بنيَّتِهِ، فمِنَ النَّصيحةِ للّه، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمَّةِ المسلمين وعامَّتِهم بيانُ أخطائِهِ تجاوز اللّه عنَّا وعنه، ونشرها بالقَدرِ الَّذِي نُشِرَت به أفكاره الخاطئة، ورُوِّج لها، وتأثَّر بها النَّاس.

ورحم اللّه سيِّد قُطب، لقد أَقَرَّ هو نفسه هذا الوزن الحقَّ إذ قال: «إنَّ منهج اللّه ثابت، وقِيَمَهُ وموازينَهُ ثابتة، والبشر يبعدون أو يقربون مِن هذا المنهج، ويخطئون ويصيبون... وحين يُخطئ البشر في قواعد التَّصوُّر وقواعد السلوك؛ فإنَّه يَصِفُهُم بالخطأ، وحين ينحرفون؛ فإنَّه يصفهم بالانحراف، ولا يتغاضى عن الخطأ مهما تكن منازلهم واقدارهم... ونتعلم من هذا أن تبرئة الأشخاص لا تساوي تشويه المنهج، وأنَّه مِنَ الخير للأمة المسلمة أن تبقي مبادئ منهجها سليمة ناصعة قاطعة، وأن يوصف المخطئون والمنحرفون بالوصف الَّذي يستحقونه -أيًّا كانوا-، وألاَّ تُبَرَّرَ أخطاؤُهم وانحرافاتُهم أبداً، فهذا التحريف والتبديل أخطر على الإسلام من وصف كبار

الشخصيات المسلمة بالخطأ والانحراف». «في ظلال القرآن» (١/ ٥٣٣ - دار الشروق).

٤) تعديل بعض الألفاظ الخاطئة في كتابه: «العدالة الاجتماعية»، في الطبعة السادسة -بعد ستة عشر عاماً من تأليفه وقبل وفاته بعام- لا يمنع مِن نقده؛ لأنَّ عشرات الألوف مِن نُسَخِ الطَّبعات القديمة لا يزال موجوداً في المكتبات الخاصة والعامة، ولم يقبل من طه حسين تعديل بعض الألفاظ الخاطئة في كتابه عن الشعر الجاهلي في الطبعة الثانية (لا السَّادسة).

ومع ذلك فقد وُزِنَ فِكرُ سيِّد في هذا البحث وفق ما استقرَّ عليه، واستمرَّ طبعه بعد وفاته رحمه اللّه بعشرات السنين، فيما سمَّاه ورثته: الطَّبعات الشرعيَّة.

أَهَمُّ مواضع الجدل في فِكرِ سيِّد

أوَّلاً: ذَمُّ موسى عليه السلام:

أ) أنكر الشيخ ربيع علي سيِّد -عفا اللّه عنَّا وعنه- كلمات في وصف نَبيِّ اللّه موسى -عليه السلام-؛ مثل قوله في «التصوير الفني في القرآن»:

١) «لنأخذ موسى؛ إنَّه نموذجٌ للزّعيمِ المندفع العصبيِّ المزاج» (ص ١٥٢).

٢) «وهنا يبدو الانفعال العصبي واضحاً»، على قول اللّه تعالى: ﴿فَوَكَزَهُ موسى﴾ (ص ١٥٢).

٣) «وتلك سِمَةُ العصبيين»، على قول اللّه تعالى: ﴿فأصبح فِي المدينة خائفا يترقَّب﴾ (ص ١٥٢).

٤) «ويُنْسيه التَّعصب والاندفاع استغفاره وندمه»، على قول اللّه تعالى: ﴿فلما أراد أن يبطش بِالذِي هو عدوٌ لهما﴾ (ص ١٥٢).

٥) «فلندَعه هنا لنلتقي به في فترة مِن حياته بعد عشر سنوات، فلعله قد هدأ وصار رجلاً هادئ الطبع، حليم النَّفس، كلاّ.. إنَّه الفتى العصبيُّ نفسه... فغيره كان يخاف، نعم، ولكن لعلَّه كان يبتعد منها، ويقف ليتأمل هذه العجيبة الكبرى»، على قول اللّه تعالى: ﴿فلما رآها تهتز كأنَّها جانٌّ ولَّى مُدبِرًا ولم يُعَقِّب﴾ (ص ١٥٣).

٦) «ثم لندعه فترة أخرى؛ لنرى ماذا يصنع الزمن في أعصابه، ولكن ها هو ذا يَسأَلُ رَبَّهُ سؤالاً عجيباً»: ﴿قال ربِّ أرِني أنظر إِليك﴾ (ص ١٥٢).

٧) «عودة العصبيِّ في سرعة واندفاع»، على قول اللّه تعالى: ﴿فلما تجلى ربه للجبلِ جعله دكًّا وخرَّ موسى صعقا فلمَّا أفاق قال سبحانك إِنِّي تُبتُ إِليك وأنا أوَّلُ المؤمنِين﴾ (ص ١٥٣).

٨) «هكذا في حنق ظاهر، وحركة متوترة»، على قول اللّه تعالى: ﴿وانظر إلى إلهك الذِي ظَلتَ عليه عاكفا لنحرِّقَنَّهُ ثم لَنَنسِفَنَّهُ في اليمِّ نَسفا﴾ (ص ١٥٤).

٩) «تُقابل شخصيَّةَ موسى شخصيَّةُ إبراهيم؛ إنَّه نموذج الهدوء والتَّسامح والحكمة»: ﴿إِنَّ إِبرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيب﴾ (ص ١٥٤).

ب) ويليق بتميُّز الشيخ بكر في المنهاج والعلم واللُّغةِ مِن جهَةٍ، وميله إلى إحسان الظَّنِّ بسيِّد مِن جهة أُخرى، ألاَّ يُقِرَّ سَيِّداً على وصفه موسى عليه السَّلام ببعض أوصاف الذَّمِّ (التي وصف الشيخ بكر أخاه الشيخ ربيع بها في معرض النقد الحادِّ) مثل العصبيَّة، والتوتُّر، والحنق، والاندِفَاع، وفي الوقت نفسه أن يُبرئ سيِّداً من قصد الإساءة إلى نبي اللّه وكليمه، وأحد أولي العزم من رسله، ولكن كما قال عن سيِّد أحد نقاده: «دفعته قوة العاطفة، وسلاسة الأسلوب إلى كلام [لا يدرك أبعاده]».

والشيخ بكر لم يخالف أخاه الشيخ ربيع في هذا الأمر ولم يجادله.

جـ) أمَّا موسى -عليه الصلاة والسلام-، فلا يليق به إلاَّ ما وصفه اللّه تعالى به، ووصفه به رسوله ﷺ؛ قال اللّه تعالى: ﴿يا موسى إِنِّي اصطفيتك على الناسِ برسالاتِي

وبكلامي﴾، و﴿وأنا اخترتك﴾، ﴿ولتصنع على عيني﴾، ﴿واصطنعتُك لنفسِي﴾، ﴿يا أيها الذِين آمنوا لا تكونوا كالذِينَ آذَوا موسى فَبَرَّأَهُ اللّه ممّا قالوا وكان عند اللّه وجيها﴾، وقال النبي ﷺ: «يرحم اللّه موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر»، رواه البخاري.

ثانياً: ذم عثمان رضي الله عنه وانتقاص عهده:

أ) أنكر الشيخ ربيع -ومِن قَبْلِه الأستاذ محمود شاكر رحمه اللّه وغيره- على سيِّد عفا اللّه عنّا وعنه الطَّعن والقدح في الخليفة الراشد المهدي عثمان بن عفان رضي اللّه عنه، وانتقاص عهده بمثل ما يلي:

١) إسقاط سيِّد خلافة عثمان رضي اللّه عنه بقوله: «**ونحن نميل إلى اعتبار خلافة علي رضي اللّه عنه امتداداً طبيعياً لخلافة الشيخين قبله، وأن عهد عثمان (الذي تحكَّم فيه مروان) كان فجوة بينهما**». «العدالة الاجتماعية» (ص ١٧٢ - دار الشروق ١٤١٥هـ).

٢) ادِّعاء سيِّد انحراف عهد عثمان رضي اللّه عنه عمَّا أسماه: «النظرة الإسلاميَّة والتصور الإسلامي في سياسة المال والحكم» في حياة النبي ﷺ وفي عهود الخلفاء الراشدين الثلاثة رضي اللّه عنهم بقوله: «فأما في حياة النبي ﷺ وصاحبيه وخلافة علي بن أبي طالب؛ فكانت

النَّظرة السَّائدة هي النَّظرة الإسلاميَّة... وأمَّا حين انحرف هذا التَّصوُّر قليلاً في عهد عثمان، فقد بقيت للناس حقوقهم، وفَهِمَ الخليفةُ أنَّه في حِلٍّ -وقد اتَّسع المال عن المقررات للناس- أن يطلق فيه يده يبرّ أهله، ومن يرى من غيرهم حسب تقديره». «العدالة الإجتماعية» (ص ١٦٨ -دار الشروق ١٤١٥هـ).

٣) تأكيد سيِّد انحراف عهد عثمان عن منهاج صاحبيه رضي اللّه عنهم جميعاً وأرضاهم بقوله: «هذا التَّصوُّر للحكم [في عهد أبي بكر وعمر] قد تغيّر شيئاً ما دون شَكٍّ على عهد عثمان، وإن بقي في سياج الإسلام». «العدالة الاجتماعية» (ص١٥٩-دار الشروق ١٤١٥هـ).

٤) تأكيد سيِّد انحراف عهد عثمان رضي اللّه عنه عن منهاج النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي اللّه عنهما في الحكم بقوله: «وسار علي رضي اللّه عنه في طريقة يَرُدُّ للحكم صورته كما صاغها النَّبيُّ ﷺ والخليفتان من بعده». «العدالة الاجتماعية» (ص ١٦٢-دار الشروق ١٤١٥هـ).

ولم يتنبه سيد عفا اللّه عنه إلى أن شرع اللّه هو من وحيه تعالى، وليس من صياغة النبي ﷺ فمن دونه.

٥) تأكيد سيِّد انحراف الحكم، بل ونفوس الحكام والمحكومين في عهد عثمان رضي اللّه عنه عمَّا أسماه

التَّصوُّر الإسلامي بقوله: «جاء علي ليرد التَّصوُّر الإسلامي للحكم إلى نفوس الحكام والناس». «العدالة الاجتماعية» (ص ١٦٢ -دار الشروق ١٤١٥هـ).

٦) اتِّهام سيِّد عثمان رضي اللّه عنه بالانحراف عمَّا أسماه روح الإسلام بقوله: «وإنَّه لمن الصَّعب أن نتَّهم روح الإسلام في نفس عثمان، ولكن من الصعب كذلك أن نعفيه مِنَ الخطأ». «العدالة الاجتماعية» (ص١٦٠ -دار الشروق ١٤١٥هـ).

٧) اتِّهام سيِّد عهد عثمان رضي اللّه عنه بكثير من الانحراف عن الإسلام بقوله: «لقد أدركت الخلافة عثمان وهو شيخ كبير، ومن ورائه مروان بن الحكم يُصَرِّف الأمر بكثير مِنَ الانحراف عن الإسلام». «العدالة الاجتماعيَّة» (ص ١٥٩ - دار الشروق ١٤١٥هـ).

٨) اعتذاره لعثمان رضي اللّه عنه عن «الانحراف عن الإسلام، وروح الإسلام، والتصور الإسلامي، وصورة الحكم، كما صاغها النبي ﷺ وخليفتاه رضي اللّه عنهما» بقوله: «واعتذارنا لعثمان رضي اللّه عنه أن الخلافة قد جاءت إليه متأخرة... وهو يدلف إلى الثمانين يلعب به مروان، فصار سيقَة له يسوقه حيث يشاء، بعد كِبَر السِّنِّ وصحبته لرسول اللّه ﷺ» [أخذ دعوى لعب مروان

بعثمان رضي اللّه عنه وسياقته له من رواية مكذوبة على عَلِيٍّ رضي اللّه عنه]. «العدالة الاجتماعية» (ص ١٦١ - دار الشروق ١٤١٥هـ).

٩) تمجيد سيِّد الثّوّار على عهد عثمان رضي اللّه عنه بقوله: «تثور نفوس الذين أُشرِبَت نفوسهم روح الدِّين إنكاراً وتأثُّماً». «العدالة الاجتماعية» (ص ١٦١ - دار الشروق ١٤١٥هـ).

١٠) تمجيد سيِّد الثورة على عثمان رضي اللّه عنه بقوله: «لا بُدَّ لمن ينظر إلى الأمور بعين الإسلام، ويستشعر روح الإسلام أن يقرر أن تلك الثورة في عمومها كانت فورة من روح الإسلام، وذلك دون إغفال لِمَا كان وراءها من كيد اليهودي ابن سبأ عليه لعنة اللّه». «العدالة الاجتماعية» (ص ١٦١ - دار الشروق ١٤١٥هـ).

١١) ضم سيّد أبا ذرّ رضي اللّه عنه -بغير حق- إلى الثوار على عثمان رضي اللّه عنه، ونقل روايات عن نفيه إلى الربذة وخُطَبه، أحرَى بها أن تكون مِن جراب الأخباريين المنحرفين؛ مثل: «لقد حدثت أعمال لا أعرفها، واللّه ما هي في كتاب اللّه، ولا سنة نبيه، واللّه إني لأرى حقاً يطفأ، وباطلاً يحيا، وصادقاً مُكذَّباً، وأثرة بغير تُقى». «العدالة الاجتماعية» (ص ١٧٤-دار الشروق ١٤١٥هـ).

قال سيِّد عفا اللّه عنَّا وعنه: «ولقد كانت هذه الصيحة يقظةَ ضمير، لم تخدّره الاطماع أمام تضخم فاحش في الثروات، يُفرِّق الجماعة الإسلاميَّة طبقات، ويُحطِّم الأسس التي جاء هذا الدين ليقيمها بين الناس». «العدالة الاجتماعية» (ص ١٧٥ - دار الشروق ١٤١٥هـ).

ب) لم يخالف الشيخ بكر أخاه الشيخ ربيعاً -حفظهما اللّه قدوة صالحة- في إنكاره الطعن في عثمان رضي اللّه عنه، وأنَّى له أن يفعل، وقد قال في كتابه «تصنيف الناس بين الظن واليقين» (ص ٢٦): «**أطبق أهل الملَّة الإسلاميَّة على أن الطَّعن في واحد من الصَّحابة رضي اللّه عنهم زندقةٌ مكشوفةٌ**».

ولكنَّه ظَنَّ أنَّه ركَّز انتقاده على طبعات سابقة من كتابَي سيِّد: «العدالة الاجتماعية» و «في ظلال القرآن»، وأن مواضع نَقدِهِ (نُسخت) بطبعات لاحقة.

والحقُّ أنَّ الشيخ ربيع بَيَّنَ الفرق بين ألفاظ الطبعات السابقة واللاحقة؛ حرصاً على أمانَةِ النقل من كتاب «العدالة الاجتماعية»، أمَّا «في ظلال القرآن»: فقد استند إلى طبعة مُتأخرة لدار الشروق، وصفها ورثة سيِّد رحمه اللّه بأنَّها الطبعةُ الشرعيَّةُ.

و(النَّسخُ) لا يصلح حجَّة لترك التَّنبيه على أخطاء بقيت بضع عشرة سنة، يكرَّر طبعها، ويقتنيها الأفراد والمكتبات، وتُعَدُّ مرجعاً هامًّا للمثقفين والمفكرين، ولأكثر شباب الأمَّة، وعُدِّلت بعض ألفاظها النابية وبقي معناها.

جـ) وعثمان بن عفان رضي اللّه عنه باتِّفاق أئمَّة أهل السُّنَّة والجماعة: أفضل هذه الأمة بعد أبي بكر وعمر رضي اللّه عنهما، وثالث الخلفاء الراشدين المهديين، الذين أُمِرنا باتِّباع سنتهم، والمحافظة عليها: «... وإنَّه من يَعِش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُّوا عليها بالنواجذ»، رواه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم.

وروي مسلم في «صحيحه»: أنَّ النبي ﷺ قال عن عثمان رضي اللّه عنه: «ألا أستحي مِن رجل تستحي منه الملائكة؟».

وروى الإمام أحمد في «مسنده»: أنَّ النبي ﷺ قال لعثمان رضي اللّه عنه: «يا عثمانُ إنَّ اللّه عزّ وجلّ عسى أن يُلبِسَك قميصاً، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تفعل حتى تلقاني».

وروى البخاري في «صحيحه» أن النبي ﷺ صعد أُحُداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف، فقال ﷺ: «أُسْكن أُحُد، فليس عليك إلاَّ نبيٌّ، وصديق، وشهيدان».

ثالثاً: لمز عَدَدٍ مِنَ الصَّحابة رضي الله عنهم:

أ) أنكر الشيخ ربيع على سيِّد عفا اللّه عنَّا وعنه لمز عددٍ مِنَ الصَّحابة أكثرهم من المبشَّرِينَ بالجنَّة في مثل ما يلي:

١) رأى سيِّد أنَّ الانحراف في تصوُّر معنى الحكم وسياسة المال بدأ صغيراً في عهد عمر، واستفحل في عهد عثمان رضي اللّه عنهما بقوله: «هذا هو الثراء الذي بدأ صغيراً بإيثار بعض المسلمين على بعض في أيام عمر، وكان معتزماً إبطاله [رواية بلا سند] ... ثُمَّ فشا فُشُوّاً ذريعاً بتجميع الأملاك والضياع وموارد الاستغلال، بما أباحه عثمان مِن شراء الأرضين في الأقاليم» [ومن حرّمه؟]. «العدالة الاجتماعية» (ص١٧٥-دار الشروق ١٤١٥هـ).

٢) في مقابل وصفه عامَّة الثوار على عثمان رضي اللّه عنه بقوله: «تثور نفوس الذين أُشرِبَت نفوسهم روح الدِّين إنكاراً وتأثماً»، وصف عامة الذين برّهم عثمان بقوله: «وتنحلّ نفوس الذين لبسوا الإسلام رداء، ولم تخالط بشاشته قلوبهم، والذين تجرفهم مطامع الدنيا، ويرون الانحدار مع

التيار، **وهذا كلّه قد كان في أواخر عهد عثمان**». «العدالة الاجتماعية» (ص١٦١-دار الشروق ١٤١٥هـ).

٣) وضرب مثلاً للتضخُّمِ الفاحش في الثَّروات الذي ظنَّه «يحطّم الأسس التي جاء هذا الدين ليقيمها بين الناس»، ومثلاً للذين «جرفتهم مطامع الدنيا»، في مقابل مَثَل أبي ذر رضي اللّه عنه الذي «كان ضميره يقظاً، فلم تخدِّره الأطماع»، ومَثَلِ الثوار على عثمان رضي اللّه عنه «الذين أُشْرِبَت نفوسهم روح الدين إنكاراً وتأثماً» بقوله مستنداً إلى رواية مجروحة عن أخباريٍّ منحرف: «وبحسبنا أن نَعْرِضَ هنا نموذجاً للثروات الضخام أورده المسعودي، قال: في أيام عثمان اقتنى الصحابة الضياع والمال، فكان لعثمان يوم قُتِل عند خازنه خمسون ومائة ألف ألف درهم... وبلغ الثُّمْن من متروك الزّبير بعد وفاته خمسين ألف دينار، وخلّفَ ألف فرس وألف أَمَة، وكانت غلّة طلحة من العراق ألف دينار كل يوم، وكان على مربط عبدالرحمن بن عوف أَلف فرس، وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم، وخلّف زيد بن ثابت مِنَ الذَّهب والفضة ما يُكسَرُ بالفؤوس، وبنى سعد بن أبي وقاص دارةً بالعقيق، ورفع سمكها وأوسع فضاءها، وبنى المقداد دارةً بالمدينة، وجعلها مجصَّصة الظاهر والباطن، وخلّف يعلى بن مُنَبِّه خمسين ألف دينار، وما قيمته ثلاثمائة ألف

درهـم». «العدالـة الاجتماعيـة» (ص١٧٥-دار الشـروق ١٤١٥هـ).

٤) ونقل رواية مكذوبة على عليّ رضي اللّـه عنـه أنـه قال في وصف معاوية رضي اللّه عنـه: «واللّـه مـا معاويـة بأدهى مني، ولكنه يغـدُرُ ويفجُـرُ». «العدالـة الاجتماعيـة» (ص ١٦٤ - دار الشروق ١٤١٥هـ).

٥) وضرب مثلاً لإبراز مظاهر التّحول والانحسار فيمـا أسماه الروح الإسلامي برواية غير مسندة لخطبتين نسبهما لمعاوية رضي اللّه عنه». «العدالـة الاجتماعيـة» (ص ١٦٧ - ١٦٨ - دار الشروق ١٤١٥هـ).

٦) وخصّ معاوية وعمرو بن العاص رضي اللّه عنهما بأقذع الشّتائم: «وحين يركن معاويـة وزميلـه [عمـرو] إلى الكذب والغشّ والخديعة والنّفاق والرشوة وشـراء الذّمـم لا يملك عليٌّ أن يتدلّى إلى هـذا الـدَّرك الأسـفل». «كتـب وشخصيات» (ص ٢٤٢ - دار الشروق).

ب) لم يخالف الشيخ بكر أخاه الشـيخ ربيعـاً في إنكـاره هذا المنكر، وأنّى له أن يفعل، وقد استدل بقول أبي زُرعـة الرازي رحمه اللّه تعـالى في «فتـح المغيـث» (٤/ ٩٤): «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحـاب رسـول اللّـه ﷺ فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أنَّ القرآن حـق، والرسـول حـق،

وذكر الشيخ بكر -حفظه اللّه قدوة صالحة- طرفاً من هذه الألقاب منها: (مداهن)، (مِن علماء السلطان)، (مِن علماء الوضوء والغسل)، [والحيض والنفاس]. «تصنيف النَّاس بين الظن واليقين» (ص ١٠ - دار العاصمة ١٤١٤هـ).

جـ) والأستاذ سيِّد قطب رحمه اللّه كان الأحرى به أن يسلك مسلك الشيخين بكر وربيع في ذبِّهما عن حَمَلة الشَّرع المطهَّر من الخلفاء الراشدين المهديين، ومن السابقين الأولين من أصحاب رسول اللّه ﷺ، وقد بَكَّتَ لجنة الفتوى المصرية؛ لأنها خالفت أبا ذر رضي اللّه عنه، «وكأنها تزعم لنفسها بَصَراً بالدّين أكثر من بصره بدينه». «العدالة الاجتماعيَّة» (ص١٢٤-دار الشروق ١٤١٥هـ).

ولما كان لا يرضى لعلماء في الشَّريعة مخالفة صحابيٍّ في تفسير الكنز (معتمدين على قول صاحبيٍّ أفضل منه) فكيف يرضى لكاتب أو مفكر إسلامي أن يخالف الخليفة الثالث الذي أُمِرَ باتِّباع سنته، وأن يخالف عدداً من كبار الصَّحابة والمبشَّرين بالجنَّة، وهذا معاوية رضي اللّه عنه الذي نال نصيباً أكبر من القدح «استكتبه رسول اللّه ﷺ، وروى عنه بضعة عشر حديثاً في «الصحيحين» أو في أحدهما ونحواً من مائة وخمسين حديثاً في غيرهما، وولاَّه

أبو بكر رضي اللّه عنه قيادة جيشٍ فَتَحَ عدداً مِن بلاد الشام، وولاَّه عمر رضي اللّه عنه الأردن، ثم دمشق، وولاَّه عثمان رضي اللّه عنه (وقيل: بل ولاَّه عمر رضي اللّه عنه قَبلَهُ) كلَّ بلاد الشَّام، ونزل له الحسن بن علي رضي اللّه عنه عن ولاية المسلمين، وبلغت فتوحاته المحيط الأطلسي، وعُدَّ بذلك من عُظماء الفاتحين في الإسلام، وعمرو بن العاص رضي اللّه عنه روى عن النبي ﷺ عشرات الأحاديث منها ثلاثة في «الصحيحين» وثلاثة في أحدهما، وولاَّه رسول اللّه ﷺ قيادة بعض الجيش، وكذلك عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه ولاَّه فلسطين والأردن، ثمَّ كتب إليه عمر رضي اللّه عنه فسار إلى مصر وافتتحها، فَوَلِيَ إمرَتَها زمن عمر وصدراً من زمن عثمان رضي اللّه عنهما، وشهد اليرموك وأبلى بلاء حسناً، وصالح أهل حلب وانطاكيَّة، وافتتح سائر قنسرين عُنوَة». «سير أعلام النبلاء» للذهبي.

رابعاً: القول بوحدة الوجود والكينونة

أ) أنكر الشيخ ربيع على الأستاذ سيِّد القول بوحدة الوجود في مثل ما يلي:

١) قول سيِّد في تفسير سورة الحديد: «﴿هُوَ الأوَّلُ والآخِرُ﴾: مستغرقاً كل حقيقة الزمان، ﴿وَالظَّاهِرُ

وَالبَاطِنِ﴾: مستغرقاً كل حقيقة المكان وهما مطلقان، ويتلفّت القلب البشري فلا يجد كينونة لشيء إلا للّه.. فهذا الوجود الإلهي هو الوجود الحقيقي الذي يَستمدّ منه كلُّ شيء وجودَه، وهذه الحقيقة هي الحقيقة الأولى التي يَستمد منها كلُّ شيء حقيقتَهُ، وليس وراءها حقيقةٌ ذاتيَّةٌ، ولا وجود ذاتيٌّ لشيء في هذا الوجود». «في ظلال القرآن» (٦/ ٣٤٧٩ - دار الشروق).

٢) وقوله: «لا كينونة لشيء في هذا الوجود على الحقيقة؛ فالكينونة الواحدة الحقيقيَّةُ هي للّه وحده سبحانه، وإنَّ استقرار هذه الحقيقة في قلب ليحيله قطعة من هذه الحقيقة، فأمَّا قبل أن يصل إلى هذا الاستقرار؛ فإنَّ هذه الآية القرآنيَّة حسبُهُ، ليعيش في تدبّرها وتصوّر مدلولها». «في ظلال القرآن» (٦/ ٣٤٧٩ - دار الشروق).

٣) وقوله في تفسير سورة الإخلاص: «إنَّها أحَدِيَّة الوجود، فليس هناك حقيقة إلاَّ حقيقته، وليس هناك وجود إلاَّ وجوده». «في ظلال القرآن» (٦/ ٤٠٠٢ - دار الشروق).

٤) وقوله: «ومتى استقر هذا التَّصوُّر الَّذي لا يرى في الوجود إلا حقيقة اللّه، فستَصْحَبُه رؤية هذه الحقيقة في كُلِّ وجود آخر انبثقَ عنها، وهذه درجةٌ يرى القلبُ فيها يد

اللّه في كل شيء، ووراءها الدرجة التي لا يرى فيها شيئاً في الكون إلا اللّه؛ لأنه لا حقيقة هناك تراها إلا حقيقة اللّه». «في ظلال القرآن» (٦/ ٤٠٠٣ - دار الشروق).

٥) وقوله: «مِن هُنا [الحقيقة الواحدة أو أحَدِيَّة الوجود] ينبثق منهج كامل للحياة... منهج لعبادة اللّه وحده الذي لا حقيقة لوجودٍ إلاَّ وجوده... ومنهج للتلقي عن اللّه وحده؛ فالتَّلقي لا يكون إلاَّ عن الوجود الواحد والحقيقة المفردة في الواقع والضمير... ومنهج يربط -مع هذا- بين القلب البشري وبين كل موجود برباطِ الحبِّ والأنس والتعاطف والتجاذب... فكلُّها خارجة من يد اللّه، وكلُّها تستمد وجودها من وجوده، وكلها تفيض عليها أنوار هذه الحقيقة، فكلها إذن حبيب؛ إذ هي هدية من الحبيب». «في ظلال القرآن» (٦/ ٤٠٠٣ - دار الشروق).

ب) يبرِّئُ الشيخ بكر الأستاذ سيِّد من الاعتقاد بوحدة الوجود، بدليل قوله في تفسير سورة البقرة: «ومن هنا تنتفي مِنَ التَّفكير الإسلامي الصَّحيح فكرةُ وحدة الوجود، وأنّ «في كتابه «مقوّمات التَّصوُّر الإسلامي» ردًّا شافياً على القائلين بوحدة الوجود، فنحن نقول: غفر اللّه لسيِّد كلامه المتشابه الذي جَنَح فيه بأسلوب وسَّع فيه العبارة،

والمتشابه لا يُقاوِم النَّص الصَّريح القاطع من كلامه». (ص ٧- ٨).

وقد رَدَّ الأستاذ محمد قطب على مُتّهمي شقيقه سيِّد بفكرة وحدة الوجود، بمثل هذا الرَّدِّ مُستدلاً بقول سيِّد في «مقوّمات التَّصوُّر الإسلامي»: «إن التَّصوُّر الإسلامي يفصل فَصلاً تامّاً بين طبيعة الألوهية وطبيعة العبودية، وبين مقام الألوهية ومقام العبودية، وخصائص الألوهية وخصائص العبوديَّة، فهما لا تتماثلان ولا تتداخلان». (ص ٨١).

وبتقريره «شمول العبودية لكل شيء وكل حي، وتجريدها من خصائص الألوهية جميعاً». (ص ١١٦).

جـ) ومع أنّي أبرأ إلى اللّه مع الشيخ بكر والشيخ ربيع أيضا من تكفير سيِّد بمجرد أقوال متناقضة عن وحدة الوجود وغيرها؛ فإنَّ «مِنَ الأوبة إلى العدل والانصاف» التنبيه إلى ما يلي:

١) لم يتوقف الأستاذ سيِّد -تجاوز اللّه عنّا وعنه- في الكلام عن وحدة الوجود والكينونة عند توسيع العبارة والتمدد بالأسلوب والجنوح بقول «متشابه»، (كما قال الشيخ بكر)، أو «موهم»، (كما أشار الأستاذ محمد قطب)؛ فقد صرَّح في تفسير سورة الحديد بقوله: «ولقد أخذ

المتصوّفة بهذه الحقيقة الأساسية الكبرى [أَحَدِيَّة الوجود والكينونة]، وهاموا بها وفيها، وسلكوا إليها مسالك شتَّى، بعضهم قال: إنَّه رأى اللّه في كل شيء في الوجود، وبعضهم قال: إنَّه رأى اللّه من وراء كل شيء في الوجود، وبعضهم قال: إنَّه رأى اللّه فلم يَرَ شيئاً في الوجود، وكلها أقوال تشير إلى الحقيقة إذا تجاوزنا عن ظاهر الأقوال القاصرة في هذا المجال، إلاَّ أن ما يؤخذ عليهم على وجه الإجمال هو أنَّهم أهملوا الحياة بهذا التَّصوُّر، والإسلام في توازنه المطلق يريد من القلب البشري أن يدرك هذه الحقيقة ويعيش بها ولها». «في ظلال القرآن» (٦/ ٣٤٨٠).

وقال في تفسير سورة الإخلاص: «وهذه مدارج الطريق التي حاولها المتصوفة، فجذبتهم إلى بعيد، ذلك أن الإسلام يريد من الناس أن يسلكوا الطريق إلى هذه الحقيقة [أَحَدِيَّة الوجود]، وهم يكابدون الحياة الواقعية بكل خصائصها، شاعرين مع هذا أن لا حقيقة إلا اللّه، وأن لا وجود إلا وجودُهُ». «في ظلال القرآن» (٦/ ٤٠٠٢ - دار الشروق).

إذاً؛ «فأَحَدِيَّة الوجود والكينونة» عند سيِّد، هي: وحدة الوجود عند المتصوفة التي «يريد الإسلام من القلب البشري

أن يدركها، ومن الجوارح أن تعيش بها ولها»، ولا يُخالف الأستاذ سيِّد المتصوفة إلا في «إهمالهم الحياة بهذا التَّصوُّر».

٢) محيي الدين بن عربي (أو موهي الدين في لفظ الشيخ علي الطنطاوي رحمه اللّه، أو الشيخ الاكبر كما يصفه أقرب المفكرين الاسلاميين إلى منهاج أهل السنة فضلاً عن أبعدهم) صرَّح بأنَّه لا يجيز القول بوحدة الوجود في «الفتوحات المكيَّة»، مع أنَّ أكثر علماء أهل السنَّةِ وطلاب علم الشَّريعة لا يذكرون وحدة الوجود إلا مقرونةً باسمه، وحَكَمَ العلماء على ما يظهر من أقواله عن وحدة الوجود بالكفر من ابن تيمية السَّلَفِي القريب من عصره إلى البقاعي الصُّوفي القريب من عصرنا، وتكفير القول لا يلزم منه بالضرورة تكفير القائل إلاَّ إذا تحقَّقت شروطُه الشَّرعية، واللّه يعلم ما مات عليه سيِّد، وابن عربي، وغيرهما.

٣) إذا كان هذا الكلام المتشابه أو الموهم من كلام سيِّد قطب عفا اللّه عنَّا وعنه فَهِمَ بعض كبار العلماء مثل الشيخ محمد بن عثيمين، والشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ومعهم أو قبلهم الشيخ عبد اللّه الدويش، وليس الشيخ ربيع وحدَهُ، فَهمُوا منه جميعاً القول بوحدة الوجود، فكيف بعامَّةِ النَّاس -ومنهم الشباب- الَّذين يجرّهم

الحماس والعاطفة إلى الأخذ بأقوال سيِّد رحمه اللّه دون تمحيص.

واجب الدُّعاةِ إلى اللّه على بصيرة، الآمرين بالمعروف والنَّاهين عن المنكرَ: بيان مثل هذه الأخطاء مِنَ القول (مهما تكن منازل قائليها، -كما سبق النَّقل عن سيِّد رحمه اللّه-) والتحذير من الوقوع في حبائل الشيطان باستغلال سقطات العلماء فَضلاً عن المفكِّرين «الإسلاميين».

٤) ولا عجب من اختلاف فكر هؤلاء المفكرين في جمعهم بين نفي عقيدة وحدة الوجود في موضع، وإثباتها في مواضع، كما يظهر في كتب ابن عربي العالم الصوفي، وسيِّد قطب الكاتب الحركي، فالاختلاف والتَّناقض سِمَةٌ لازمةٌ للفكر البشري، قال اللّه تعالى: ﴿أَفَلا يتدبَّرُون القرآن ولو كان من عند غيرِ اللّه لوجدوا فيهِ اختلافًا كثِيرًا﴾

وما أُتِيَ المفكرون قديماً وحديثاً إلاَّ من جهة اشتغالهم بالفكر الظني المضطرب عن وحي اللّه اليقيني الثَّابت، وبسلاسة الأسلوب عن الفقه في الدِّين.

خامسا: إباحة التَّشريع الجديد للمصلحة والعُرف:

أ) أنكر الشيخ ربيع على سيِّد إباحته للدولة سَنَّ تشريعات جديدة للعرف العالمي أو للمصلحة في مثل ما يلي:

١) قال في تفسير قول اللّه تعالى: ﴿وفي الرِّقَاب﴾: «وذلك حين كان الرِّقُّ نظاماً عالمياً تجري المعاملة فيه على المثل في استرقاق الأسرى بين المسلمين وأعدائهم، **ولم يكن للإسلام بُدٌّ من المعاملة بالمثل حتى يتعارف العالم على نظام آخر غير الاسترقاق**». «في ظلال القرآن» (٣/ ١٦٦٩ - دار الشروق).

وقال مثل هذا في الصفحات (١/ ٢٣٠ و ٤/ ٢٤٥٥ و ٦/ ٣٢٨٥) من كتابه «في ظلال القرآن».

٢) وقال: «**في يد الدولة أن تنزع الملكيات والثَّروات جميعاً**، وتعيد توزيعها على أساس جديد، **ولو كانت هذه الملكيات قد قامت على الأسس التي يعترف بها الإسلام**، ونمت بالوسائل التي يبرّرها». «معركة الإسلام والرأسمالية» (ص ٤٤ - دار الشروق ١٩٩٣ ط ١٣).

٣) وقال: «**في يد الدولة أن تفرض ضرائب خاصَّة غير الضرائب العامة كما تشاء**، فتخصص ضريبة للجيش، وضريبة للتعليم، وضريبة للمستشفيات، وضريبة للضمان الاجتماعي، وضريبة لكلّ وجه طارئ لم يحسب حسابه في المصروفات العامة، أو تعجز الميزانية العاديَّة عن الانفاق عليه عند الاقتضاء». «معركة الإسلام والراسماليَّة». (ص ٤٣ - دار الشروق ١٩٩٣ ط ١٣).

٤) وقال: «**حق المجتمع مطلق في المال، وحق الملكيَّة الفرديَّة لا يَقِفُ في وجه هذا الحقِّ العامِّ، والإسلام يعطي هذه السلطات للدَّولة** -ممثلة المجتمع- لا لمواجهة الحاجات العاجلة فحسب، بل لدفع الأضرار المتوقعة». «معركة الإسلام والرأسماليَّة». (ص٤٣-دار الشروق ١٩٩٣ط ١٣).

٥) ولم يكفه أنَّ الدولة في زمنه «**سنَّت ضريبة التَّركات**، وضريبة الدَّخل العامِّ، وأخذت بمبدأ الضَّريبة التَّصاعدية»؛ لأنَّها «خطوات هزيلة لا يبدو لها أثرٌ؛ لأنَّ الأوضاع القائمة قد بلغت مِنَ الفحش والسوء مبلغاً لا تعالجه هذه اللَّمسات النَّاعمة بقفّازات الحرير اللطيفة». «معركة الإسلام والرأسماليَّة». (ص ٣٩ - دار الشروق ١٩٩٣ ط ١٣).

٦) وقال: «**مبدأ حقِّ الملكية الفرديَّة في الإسلام لا يمنع تبعاً لهذا -المصالح المرسلة، وسدِّ الذرائع- أن تأخذ الدولة نسبة من الربح، أو نسبة من رأس المال ذاته**». «العدالة الاجتماعية». (ص١٢٣ -دار الشروق ١٤١٥).

٧) وقال: «الإسلام يَعُدُّ العملَ هو السبب الوحيد للملكيَّةِ والكسب، ورأس المال في ذاته ليس سبباً من

أسباب الكسب الصَّحيحة». «معركة الإسلام والرأسماليَّة» (ص ٤٠ - دار الشروق ١٩٩٣ ط ١٣).

ثم يقول: «**فأمَّا القاعدون الذين لا يعملون، فثراؤهم حرام، وعلى الدولة أن تنتفع بذلك الثراء لحساب المجتمع، وأن لا تدعه لذلك المتبطل الكسلان**». «معركة الإسلام والرأسماليَّة» (ص٥٢ -دار الشروق ١٩٩٣ ط ١٣).

ويَستنتج من هذا التشريع الجديد، أو يَستدِلّ عليه بقوله: «**العبادة ليست وظيفة حياة**، وليس لها إلا وقتها المعلوم ﴿فإذا قُضِيَت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضلِ اللّه﴾». «معركة الإسلام والرأسماليَّة» (ص ٥٢ -دار الشروق ١٩٩٣ ط١٣).

وَفَاتَه -عفا اللّه عنَّا وعنه- أنَّ العبادةَ هي وظيفة الحياة، قال اللّه تعالى: ﴿وما خلقت الجنَّ والإنسَ إلاَّ ليعبدون﴾، وأنَّ الأمرَ بالانتشار بعد الصلاة للإباحَة باتفَاق.

٨) ويرى أنَّه: «لا بُدَّ أن يوجد المجتمع المسلم أوَّلاً بتركيبه العضوي... وساعتها **قد يُحتاج إلى البنوك، وشركات التامين، وتحديد النسل... الخ، وقد لا يُحتاج!** ذلك أنَّنا لا نملك أن نقدّر أصل حاجته ولا حجمها ولا شكلها، حتى نشرِّع لها سلفاً». «في ظلال القرآن» (٤/ ٢٠١٠ - دار الشروق).

ب) يستبعدُ الشَّيخ بكر أن يبيح الأستاذ سيِّد قطب التَّشريع البشري، بحجَّةِ «ما بَنَى عليه حياته، ووظّف له قلمه مِن الدعوة إلى توحيد اللّه تعالى في الحكم والتشريع، ورَفْض سَنِّ القوانين الوضعيَّة، والوقوف في وجه الفعلة لذلك». (ص ٦ - ٧).

جـ) ولكنَّ ما نقله الشيخ ربيع آنفا مِن ثلاثة مِن كتبه، ومثله كثير فيها وفي غيرها -لا تترك مجالاً للشَّكِّ- ولا للجَدَل حول إباحة سيِّد عفا اللّه عنَّا وعنه التشريع البشريَ للمصلحة فيما يتعلق بنزع الممتلكات التي حازها أصحابها بطريق مشروع، وفرض الضرائب العامَّة أو الخاصة، واستيلاء الدولة على نسبة مِنَ الرِّبح أو رأس المال -عند وقوع الحاجة أو توقعها-، ولمتابعة العرف الدولي فيما يتعلق بإلغاء الرقّ، والنفي لا يُطاول الإثبات.

واضطراب الفكر وتقلُّبه واختلافه كما أسلفت؛ هو الجاني، وأمَّا سيِّد وغيره من المفكرين والكتاب «الإسلاميين»، فلا نَشُكُّ في حُسن نيَّتهم ولا في سوء أقوالهم، ونرى (مع الشيخ ربيع والشيخ بكر والأستاذ سيِّد نفسه) بيان خطأهم.

سادساً: جهل معنى لا إله إلا الله، والخلط بين الألوهيَّة والربوبيَّة:

أ) أنكر الشيخ ربيع على الأستاذ سيِّد تفسير (لا إله إلا اللّه) بغير معناها الصَّحيح في الشَّرع واللُّغة، والخلط بين معنى الألوهيَّة ومعنى الربوبيَّة في التوحيد، في مثل ما يلي:

١) قال سيِّد عفا اللّه عنَّا وعنه: «كانوا [العرب] يعرفون من لغتهم معنى (إله)، ومعنى **(لا إله إلاَّ اللّه)**، كانوا يعرفون: أَنَّ **الألوهيَّة تعني الحاكميَّة**... كانوا يعلمون: أَنَّ **(لا إله إلاَّ اللّه) ثورة على السُّلطان الأرضي** الذي يغتصب اولى **خصائص الألوهيَّة**». «في ظلال القرآن» (٢/ ١٠٠٥ - دار الشروق).

٢) وقال: «**(لا إله إلا اللّه)** كما كان يُدركُهَا العربيّ العارف بمدلولات لُغَته: لا حاكميَّة إلا للّه». «في ظلال القرآن» (٢/ ١٠٠٦ - دار الشروق).

٣) وقال: «**أخَصُّ خصائص الألوهيَّة هي: الربوبية، والقوامة، والسلطان، والحاكميَّة**». «في ظلال القرآن» (٤/ ١٨٥٢ - دار الشروق).

٤) وقال: ﴿وَهُوَ اللّه لا إلَه إلاَّ هُو﴾؛ أَي: **لا شريك له في الخلق والاختيار**». «في ظَلاَل القرآن» (٥/ ٢٧٠٧ - دار الشروق).

٥) وقال: «﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾، **والإله هو المستعلي المستولي المتسلّط**». «في ظلال القرآن» (٦/ ٤٠١٠ - دار الشروق).

٦) وقال: «لا إله إلاَّ اللّه؛ أي: لا حاكميَّة إلاَّ للّه، حاكميَّة تتمثل في قضائه وقدره، كما تتمثل في شرعه وأمره». «العدالة الاجتماعيَّة» (ص ١٨٢ - دار الشروق ١٤١٥هـ).

قال الشيخ ربيع وفقه اللّه بأنَّه ليس لسيِّد سلفٌ في هذا التَّأويل مِنَ الصَّحابة وعلماء الأمَّة؛ **فالحاكميَّة: إنما هي معنى مِن معاني الرُّبوبيَّةِ، ضيَّع به سيِّد المعنى الأعظم لهذه الكلمة: (لا إله إلا اللّه)**.

قال ابن جرير رحمه اللّه في تفسير قول اللّه تعالى: ﴿وهو اللّه لا إله إلاَّ هو﴾: «وربُّك يا محمد المعبود الذي لا تصلح العبادة إلَا له» (٢٠/ ١٠٢).

وقال ابن كثير رحمه اللّه: «أي: هو المنفرد بالإلهية، فلا معبود سواه، كما لا رَبَّ يخلق ما يشاء ويختار سواه» (٣/ ٤٣٨ -مكتبة دار السلام ١٤١٣).

وبيَّنَ الشيخ ربيع وفقه اللّه الفرقَ بين صفتي الحكم والخلق، وبين العبادة: بأن الأُوليَين مِن صفات اللّه تعالى، أمَّا الثَّانية فهي من صفات المخلوقَ. «أضواء اسلامية على عقيدة سيِّد قطب وفكره» (ص ٦٠-٦١ عام ١٤١٤ هـ).

٧) وقال سيِّد -عفا اللّه عنَّا وعنه-: «**فقضيَّةُ الألوهيَّة لم تكن مَحَلَّ خلاف، وإنَّما قضية الرُّبوبيَّة** هي التي كانت تواجهها الرِّسالات، وهي التي واجهتها الرِّسالة الأخيرة». «في ظلال القرآن» (٤/ ١٨٤٦-دار الشروق).

٨) وقال: «**وما كان الخلاف على مدار التاريخ بين الجاهليَّة والإسلام، وبين الحقِّ والباطل على ألوهيَّة اللّه سبحانه... إنَّما كان الخلاف وكانت المعركة على من يكون هو رَبُّ الناس**». «في ظلال القرآن» (٤/ ١٨٥٢ - دار الشروق).

٩) وقال: «فالألوهيَّة قلّما كانت موضع جدال في معظم الجاهليات، وبخاصة في الجاهليَّة العربيَّة، إنَّما الذي كان دائماً موضع جدل هو قضية الربوبية». «في ظلال القرآن» (٤/ ٢١١ - دار الشروق).

قال الشيخ ربيع وفقه اللّه: الإله عند العرب (علماء الشريعة، وعلماء اللغة، والعامة): هو المعبود الذي يُتقرب إليه بالعبادة: الدعاء والخوف والرجاء والصلاة والصوم والحج وغيرها، وليس معناه عندهم الحاكم الذي يُتحاكم إليه؛ لقد كان لهم سادة وأمراء وقضاة يتحاكمون إليهم، ولا يسمُّونهم آلهة، وكان لهم أوثان وأصنام يعبدونها ولا يسمُّونها حكّاماً ولا عِبَادَتها تحاكُماً، وكانوا يعترفون

بتوحيد الرُّبوبيَّة، قال اللّه تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السَّموات والأرض وسخر الشَّمس والقمر ليقولون اللّه﴾.

وقال تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السَّماء والأرض أمَّن يملك السَّمع والأبصار ومن يُخرِجُ الحيَّ مِن الميت ويُخرِجُ الميت من الحي ومن يُدَبِّر الأمر فسيقولون اللّه فقل أفلا تَتَّقُون﴾، وكانوا يخالفون الرُّسل في توحيد الألوهيَّة؛ قال اللّه تعالى عنهم: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيءٌ عُجَاب﴾، قال ابن كثير في «تفسيره»: «أي أزَعم أنَّ المعبود واحد، لا إله إلاَّ هو؟ أنكر المشركون قبحهم اللّه تعالى وتعجّبوا من ترك الشرك باللّه، فإنَّهم قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان» (٤/ ٣٠).

ب) أمَّا الشيخ بكر وفقه اللّه فيستبعد وقوع سيِّد رحمه اللّه في مثل هذا الخطأ الفاحش؛ «بما قرَّره مِن معالم التوحيد ومقتضياته ولوازمه التي تحتلُّ السِّمَةَ البارزة في حياته الطويلة، وبتركيزه على توحيد اللّه في الحكم والتشريع» (ص ٨ - ٩) من رسالته الخاصة (المفتري عليه نشرها).

جـ) ولم يُنكر الشَّيخ ربيع ولا غيره تركيز سيِّد على توحيد اللّه في الحكم والتشريع، نظرياً على الأقل، لأنَّه

كما تقدم (ص ٤٢-٤٥) استثنى التشريع للحاجة والمصلحة والعرف العالمي، بل إنَّه رحمه اللّه أفرط في التركيز على الحاكميَّة إلى درجة تفريطه -عفا اللّه عنَّا وعنه- في العبوديَّة، إذ جعل الحاكميَّةَ، والربوبيَّة، والقوامة، والسلطان أخَصّ خصائص الألوهيَّة، وعلى هذا لم يصرف اهتماماً يذكر للشرك الأكبر: صرف العبادةُ لغير اللّه؛ من دعاء، وذبح، ونذر، وطلب مَدَدٍ، بل قال بصريح العبارة بأن عبَّاد الأصنام «ما كان شركهم الحقيقي من هذه الجهة [عبادة الأصنام]، ولا كان إسلام من أسلم منهم متمثلاً في مجرد التخلي عن الاستشفاع بهذه الأصنام». «في ظلال القرآن» (٣/ ١٤٩٢).

وفي الوقت نفسه جعل اتّباع البشر في الأخلاق، والتقاليد، والعادات، والأزياء؛ مزاولة للشرك في أخصّ حقيقته، ومخالفة لشهادة أن لا إله إلاَّ اللّه، وأن محمداً رسول اللّه في أخصّ حقيقتها، ولو توجّه العبد إلى اللّه في ألوهيَّته وحده، ودان لشرع اللّه في الوضوء والصلاة والصوم وسائر الشعائر». «في ظلال القرآن» (٤/ ٢١١٤ - دار الشروق).

بل جعل من الشرك الواضح الظاهر: «الدينونة في تقليد مِنَ التقاليد؛ كاتخاذ أعيادٍ ومواسمَ يشرعها النَّاس،

ولم يشرعها اللّه، والدينونة في زي من الأزياء يخالف ما أمر اللّه به من السّتر، ويكشف -أو يحدد- العورات التي نَصَّت شريعة اللّه أن تُسْتر». «في ظلال القرآن» (٤/ ٢٠٣٣ - دار الشروق).

سابعاً: تكفير المسلمين عامّة:

أ) أنكر الشيخ ربيع على الأستاذ سيِّد -تجاوز اللّه عنَّا وعنه- تكفير جماعة المسلمين دُوَلاً وشُعُوباً بمثل ما يلي:

١) قول سيِّد -عفا اللّه عنَّا وعنه-: «**يدخل في إطار المجتمع الجاهلي تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنَّها مسلمة... لا لأنَّها تعتقد بألوهيَّة أحد غير اللّه، ولا لأنَّها تقدم الشَّعائر التعبديَّة لغير اللّه، ولكنَّها تدخل في هذا الإطار لأنَّها لا تدين بالعبوديَّة للّه وحده في نظام حياتها... فهي -وإن لم تعتقد بألوهية أحدٍ إلاَّ اللّه-، تعطي أخصَّ خصائص الألوهيَّة لغير اللّه، فتدين بحاكميَّة غير اللّه، فتتلقى مِن هذه الحاكميَّة نظامها، وشرائعها، وقيمها، وموازينها، وعاداتها، وتقاليدها**... موقف الإسلام من هذه المجتمعات الجاهلية كلها يتحدد في عبارة واحدة: **أن يرفض الاعتراف بإسلاميَّة هذه المجتمعات كلها**». «معالم في الطريق»(ص١٠١-١٠٣-دار الشروق).

٢) وقال: «**ارتدَّت البشريَّة إلى عبادة العباد، وإلى جـور الأديان، ونكصت عن لا إله إلاَّ اللّه، وإن ظَلَّ فريـقٌ منهـا يردّد على المآذن: لا إله إلا اللّه**». «في ظلال القـرآن» (٢/ ١٠٥٧ - دار الشروق).

٣) وقال: «**إنَّ هذا المجتمـع الجـاهلي الـذي نعيـش فيـه ليس هو المجتمع المسلم**». «في ظلال القرآن» (٤/ ٢٠٠٩ - دار الشروق).

٤) وقال عـن مشـركي الجاهليـة: «**إنَّمـا كـان شـركهم الحقيقي يتمثل ابتداءً في تلقّي منهج حياتهم وشرائعهم مِن غير اللّه، [لا عبادة الأصنـام تقرُّبـاً واستشـفاعا إلى اللّـه]**، الأمر الذي يشاركهم فيه اليوم أقوام يظنُّون أنَّهم مسـلمون على دين محمد، كما كان المشركون يظنُّـون أنهـم مهتـدون على دين إبراهيم». «في ظلال القـرآن» (٣/ ١٤٩٢ - دار الشروق).

٥) وقـال: «والذيـن لا يُفـردون اللّـه بالحاكميَّـة في أي زمان، وفي أي مكان هم بمشـركون، **لا يخرجهـم مـن هـذا الشرك أن يكون اعتقادهم أن لا إله إلاَّ اللّه مجـرد اعتقـاد، ولا أن يقدِّموا الشعائر للّه وحده**». «في ظلال القرآن» (٢/ ١٤٩٢ - دار الشروق).

قال الشيخ ربيع وفقه اللّه: «إنَّ النَّجاشي كـان إسـلامه مجرد اعتقاد أن لا إله إلا اللّه؛ أي: لا معبود بحق إلا اللّـه، فلـم يطبّـق الحاكميَّـة في المعـاملات، ولا العـادات، ولا التقاليد، ولا الأزياء، ولا النظـام في دولتـه بالحبشـة، ومـع ذلك صلَّى عليه النبي ﷺ وأصحابه، أفرأيت لـو أنَّـه طبَّـق الحاكميَّة [فيما ذكرنـا]، ولم يؤمـن بعقيـدة التوحيـد، أيُعَـدُّ مؤمناً؟». «أضواء إسلاميَّة على عقيدة سيِّد قطب وفكـره» (ص ٨٠ - عام ١٤١٤هـ).

٦) وقال في تفسير قول اللّه تعالى: ﴿واجعلـوا بيوتكـم قبلة﴾ (بعد أن قرَّر فيما سـبق دخـولَ مسـلمي العصـر في إطار المجتمع الجاهلي): «وهنا يرشدنا اللّه إلى اعتزال معابد الجاهلية [مساجدها]، واتخاذ بيوت العصبة المسلمة مساجد تحسّ فيهـا بـالإنعزال عـن المجتمـع الجـاهلي». «في ظـلال القرآن» (٣/ ١٨١٦ - دار الشروق).

٧) وقال: «إنَّه لا نجاة للعصبة المسلمة في كل أرض من أن يقع عليها العـذاب إلاَّ بـأن تنفصـل عقيديّـاً وشـعوريّاً ومنهج حياة عن أهل الجاهليَّة من قومها، حتَّى يـأذن اللّـه لها بقيام دار إسلام تعتصم بها، وإلاَّ أن تشعر شعوراً كاملاً بأنَّها هي الأمَّة المسلمة، وأنَّ ما حولها ومن حولهـا مِمَّـن لم

يدخلوا فيما دخلت فيه جاهليَّة، وأهل جاهلية». «في ظلال القرآن» (٤/ ٢١٢٢ - دار الشروق).

٨) وقال: «إنَّه ليست على وجه الأرض اليوم دولة مسلمة، ولا مجتمع مسلم، قاعدة التعامل فيه هي شريعة اللّه، والفقه الإسلامي». «في ظلال القرآن» (٤/ ٢١٢٢ - دار الشروق).

٩) وقال: «ونقطة البدء الصَّحيحة في الطريق الصَّحيحة هي أن تتبيَّن حركات البعث الإسلامي أنَّ وجود الإسلام قد توقّف... هذا طريق، والطريق الآخر أن تظُنَّ هذه الحركات لحظة واحدة أنَّ الإسلام قائم، وأنَّ هؤلاء الذين يدَّعُونَ الإسلام ويتسمُّون بأسماء المسلمين هم فعلاً مسلمون... فإن سارت الحركات في الطريق الاوَّل سارت على صراط اللّه وهداه... وإن سارت في الطريق الثاني فستسير وراء سراب كاذب، تلوح لها فيه عمائم تُحرِّف الكلم عن مواضعه، وتشتري بآيات اللّه ثمناً قليلاً، وترفع راية الإسلام على مساجد الضرار». «العدالة الاجتماعية» (ص٢١٦-دار الشروق ١٤١٥هـ).

١٠) وقال: «ونحن نعلم أنَّ الحياة الإسلاميَّة -على هذا النّحو- قد توقَّفت منذ فترة طويلة في جميع أنحاء الأرض،

وأنَّ وجود الإسلام ذاته -من ثم- قد توقّف كذلك». «العدالة الاجتماعية» (ص ١٨٥-دار الشروق ١٤١٥هـ).

١١) وقال: «البشرية عادت إلى الجاهليَّة، وارتدَّت عن لا إله إلاَّ اللّه، فأعطت لهؤلاء العباد [الذين شرعوا التقاليد والعادات، والأعياد والأزياء] خصائص الألوهية، ولم تعد توحِّد اللّه وتخلص له الولاء؛ البشرية بجملتها بما فيها أولئك الذين يردِّدُون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات لا إله إلا اللّه بلا مدلول ولا واقع، وهؤلاء أثقل إثماً وأشد عذاباً يوم القيامة، لأنَّهم ارتدوا إلى عبادة العباد من بعد ما تبيَّن لهم الهدى، ومن بعد أن كانوا في دين اللّه».«في ظلال القرآن» (٢/ ١٠٥٧ -دار الشروق).

١٢) ولا غرابة في أقواله السابقة عن مسلمي هذا العصر؛ فقد قال عن الذين زعم أنَّ عثمان رضي اللّه عنه آثرهم بالمناصب والمال مِنَ الصحابة والتابعين أنَّهم: «الذين لبسوا الإسلام رداءً، ولم تخالط بشاشته قلوبهم، والذين تجرفهم مطامع الدنيا، ويرون الانحدار مع التيار». «العدالة الاجتماعية» (ص ١٦١-دار الشروق ١٤١٥هـ).

١٣) وقال عن رواية غير مسندة لخطبة المنصور العباسي في القرن الثاني: «وبذلك خرجت سياسة الحكم

نهائياً من دائرة الإسلام وتعاليم الإسلام». «العدالة الاجتماعية» (ص ١٦٨ - دار الشروق ١٤١٥هـ).

١٤) وقال في تفسير قول اللّه تعالى: ﴿وما يُؤمنُ أكثرهم باللّه إلاَّ وهم مشركون﴾ بعد أن ذكر الشرك الخفي: «وهناكَ الشرك الواضح الظاهر، وهو الدينونة لغير اللّه في شأن من شؤون الحياة؛ الدينونة في شرع يتحاكم إليه، وهو نصٌّ في الشرك لا يجادل عليه، والدينونة في تقليد مِنَ التقاليد؛ كاتّخاذ أعياد ومواسم يشرعها النَّاس ولم يشرعها اللّه، والدينونة في زيٍّ من الأزياء يخالف ما أمر اللّه به من الستر، ويكشف أو يحدد العورات التي نصت شريعة اللّه أن تستر». «في ظلال القرآن» (٤/ ٢٠٣٣ - دار الشروق).

قال الشيخ ربيع وفقه اللّه: وفي هذا الكلام أمران خطيران:

أولهما: تكفير المجتمعات الإسلاميَّة بالمعاصي والمخالفات الواقعة في العادات والتقاليد والأزياء، وهذا المذهب أشدُّ خطراً من مذهب الخوارج.

وثانيهما: تأويل القرآن بغير ما أراده اللّه بالشرك، إذ المرادُ بالشرك هنا ما استقر في القرآن والسُّنَّة وعرفه المسلمون، وهو الشرك الأكبر المطلق، وهو إتخاذ أندادٍ مع

اللّه يُدعون، ويُستغاث بهم، ويُذبح لهم، ويُتقرب إليهم، ويُصرف لهم حق اللّه مِنَ العبادات التي أمرهم أن يعبدوه بها، ويخلصوا بها الدين للّه». «أضواء اسلامية على عقيدة سيِّد قطب وفكره» (ص ٧٧ عام ١٤١٤هـ).

قال اللّه تعالى: ﴿ومن أضلُّ ممَّن يدعو من دونِ اللّه من لا يستجيبُ له إلى يومِ القيامة وهم عن دعائِهم غافلون. وإذا حُشِر النَّاس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾.

ب) لم يُبدِ الشيخ بكر وفقه اللّه موافقة ولا مخالفة للإنكار على سيِّد -عفا اللّه عنَّا وعنه- تكفيره المسلمين حين يخضعون لنظم، أو تقاليد، أو عادات، أو أعياد، أو مواسم، أو أزياء لم يشرعها اللّه وإنَّما شرعها الناس.

ولكنَّه أنكر على كل مسلم ما هو دون التكفير من سبٍّ واتِّهام وتنابز بالألقاب، في كتابه: «تصنيف الناس بين الظن واليقين».

بل أنكر في الرسالة الخاصة (المفترى عليه نشرها): ما يمكن أن يُفهم منه التكفير بقولٍ يُوهِم: وحدَة الوجود، وخلق القرآن، وانتقاص نبي أو خليفة أو صحابي، وإجازة تشريع لم يأذن به اللّه؛ للمصلحة والعرف العالمي.

جـ) والتكفير بالجملة واضح فيما قُدِّم من أمثلة أُخِذت من ثلاثة من أشهر كتب سيّد التي لا تزال تطبع وتنشر بعد

موته رحمه اللّه بعشرات السنين، ويصفها ورثته بالطبعات الشرعيَّة عفا اللّه عنَّا وعنهم.

وقد أنكر عليه ذلك قبل الشيخ ربيع عدد من طلاب العلم والمثقفين، بل والمفكِّرين الموصوفين بالإسلاميين من حزبه، ولكني لا أَشُكُّ في أنَّه لا يعي أو لا يعني ما يُفهم من قوله؛ لأنَّه عاش طول حياته يتَّبع «شرع البشر» في الزِّي الأجنبي، بل وفي حلق اللِّحية المخالف لشرع اللّه، تجاوز اللّه عنَّا وعنه.

ثامناً: القول بخلق القرآن:

أ) أنكر الشيخ ربيع على الأستاذ سيِّد القول بخلق القرآن في مثل ما يلي:

١) قال سيِّد -عفا اللّه عنَّا وعنه- عن إعجاز القرآن: «والشأن في هذا الإعجاز هو الشأن في خلق اللّه جميعاً، وهو **مثل صنع اللّه في كل شيء**، وصنع الناس». «في ظلال القرآن» (١/ ٣٨ - دار الشروق).

٢) وقال: «فهذا القرآن ليس ألفاظاً وعبارات يحاول الإنس والجن أن يحاكوها، **إنَّما هو كسائر ما يُبدِعُه اللّه**؛ يعجز المخلوقون أن يصفوه؛ فهو كالروح من أمر اللّه». «في ظلال القرآن» (٤/ ٢٢٤٩-٢٢٥٠ - دار الشروق).

٣) وقال: «ولكنهم لا يملكون أن يؤلّفوا من هذه [الحروف] مثل هذا الكتاب؛ لأنَّه من صُنع اللّه لا من صنع الناس». «في ظلال القرآن» (٥/ ٢٧١٩-دار الشروق).

٤) وقال: «وهذا الحرف [ص] من صنعة اللّه تعالى؛ فهو موجدُهُ صوتاً، وموجدُهُ حرفاً من حروف الهجاء». «في ظلال القرآن» (٥/ ٣٠٠٦ - دار الشروق).

ب) ويرى الشيخ بكر أنَّ مُنتهى خطأ الأستاذ سيِّد عفا اللّه عنَّا وعنه: «تمدّد في الأسلوب؛ كقوله: ولكنهم لا يملكون أن يؤلّفوا منها [أي: الحروف المقطعة] مثل هذا الكتاب؛ لأنَّه من صنع اللّه لا من صنع الناس، وهي عبارة لا شَكَّ في خطئها، لكن هل يحكم من خلالها أن سيداً يقول بهذه المقولة الكفرية: خلق القرآن؟ اللهمَّ إني لا أستطيع تحمل عُهدة ذلك» (ص ٩-١٠) من الرسالة (المفترى عليه نشرها).

جـ) ويسهل الجمع بين إنكار الشيخ ربيع قول الأستاذ سيِّد بخلق القرآن، وتوقّف الشيخ بكر عن تحمل عُهدة ذلك بما يلي:

١) لم يترك الأستاذ سيِّد مجالاً للشَّكِّ (بترديده وصف الحرف بالصُّنعِ والإيجاد، والإبداع) في أنه يطابق قول الأشاعرة الذين يردُّون قول المعتزلة أنَّ كلام اللّه مخلوق

إطلاقا؛ بأنَّ «كلام اللّه يطلق على الكلام النفسي القديم بمعنى أنه صِفَةٌ قائمةٌ بذاته تعالى، وعلى الكلام اللَّفظي بمعنى أنَّه خَلَقه وليس لأحد في أصل تركيبه كسب... ومع كون اللَّفظ الذي نقرؤه حادثاً؛ لا يجوز أن يقال: القرآن حادث إلاَّ في مقام التعليم؛ لأنَّه يطلق على الصفة القائمة بذاته أيضاً، لكن مجازاً على الأرجح». «شرح جوهرة التوحيد» للبيجوري (ص٧٢ -دار الكتب العلمية١٤٠٣ هـ).

٢) والأستاذ سيِّد -عفا اللّه عنَّا وعنه- يفصل بين الحرف والمعنى لكلام اللّه تعالى في أكثر الأمثلة التي أوردها الشيخ ربيع في كتابه: «أضواء إسلاميَّة على عقيدة سيِّد قطب وفكره»، والمثبتة هنا.

٣) فخطأ سيِّد -إذن- هو خطأ الأشاعرة، وليس خطأ المعتزلة في القول بخلق القرآن فيما ظهر لي، واللّه أعلم.

تاسعاً: تأويل الصِّفَات:

أ) أنكر الشيخ ربيع على الأستاذ سيِّد تأويل صفات اللّه تعالى في مثل ما يلي:

١) قال -عفا اللّه عنَّا وعنه- في تفسير قول اللّه تعالى: ﴿وإذا قضى أمرًا فإنَّما يقول له كن فيكون﴾: «وتَوَجُّه الإرادة يتم بكيفيَّةٍ غير معلومةٍ للإدراك البشري»،

ففسّر قول اللّه تعالى: ﴿كن﴾ بتَوَجُّه الإرادة، وكرَّرها فيما بعد مرات. «في ظلال القرآن» (١/ ١٠٧ - دار الشروق).

٢) ثم قال في تفسيرها بعد: «أهذه النفخة هي الكلمة؟ الكلمة توجه الإرادة؟ والكلمة هي عيسى أو هي التي منها كينونته؟ كل هذه بحوث لا طائل وراءها إلا الشبهات». «ظلال القرآن» (١/ ٣٩٨ - دار الشروق). **[شَكَّ هذه المرة وحدها فيما أعلم فجعلها من المتشابه، وفيما بعد قرر أنَّ معناها توجُّه الإرادة كما فعل من قبل]**.

٣) وقال في تفسيره قول اللّه تعالى: ﴿فلمَّا أتاها نودي يا موسى إنِّي أنا ربُّك﴾؛ «﴿نودي﴾: بهذا البناء للمجهول، فما يمكن تحديد مصدر النداء ولا اتجاهه، ولا تعيين صورته ولا كيفيَّته، ولا كيف سَمِعَهُ موسى أو تلقَّاه، نودي بطريقة ما فتلقى بطريقة ما». «في ظلال القرآن» (٤/ ٢٣٣٠/ ٢٣٣١ - دار الشروق).

٤) وقال في تفسير قول اللّه تعالى: ﴿إنَّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾: «فتوجُّه الإرادة لخلق الشيء كافٍ وحده لوجوده كائناً ما يكون، إنَّما يقرِّب اللّه للبشر الأمور ليدركوها بمقياسهم البشري المحدود». «في ظلال القرآن» (٥/ ٢٩٧٨ - دار الشروق).

٥) وقال في تفسير قول اللّه تعالى: ﴿ثُـمَّ اسـتَوَى عَلَـى العَرشِ﴾: «العرش؛ نؤمن به كما ذكره، ولا نعلم حقيقته، أما الاستواء على العرش فنملك أن نقول: إنه كناية عـن الهيمنة على هذا الخلق، استناداً إلى ما نعلم من القرآن عن يقين من أنَّ اللّه سبحانه لا تتغير عليه الأحوال، فلا يكون في حالة عدم استواء على العرش، ثم تتبعها حالة اسـتواء، والقول بأنّنا نؤمن به [بالاستواء] ولا ندرك كيفيَّته [وهو قول أهل السنَّة والجماعـة] لا يفسـر قولـه تعـالى: ﴿ثـمَّ استوى على العرش﴾». «في ظلال القرآن» (٦/ ٣٤٨٠).

٦) وقـال عـن وزن اللّـه تعـالى للأعمـال: «لمـا كـان التجسيم خُطّة عامَّة صوّر اللّه تعالى الحسـاب في الآخـرة كما لو كان وزنا مجسّماً للحسـنات والسـيِّئات، ﴿ونضـع الموازين القسط ليومِ القيامة﴾، ﴿فأمَّا من ثقلت موازينه﴾، ﴿وأمَّا من خفَّت موازينـه﴾، ﴿وإن كـان مثقـال حبَّـة مـن خردل أتينا بها﴾، ﴿ولا يظلمون فَتيـلاً﴾ و﴿ولا يظلمـون نقيراً﴾، وكل ذلك تمثّـيلاً مـع تجسـيم المـيزان». «التصويـر الفني في القرآن» (ص ٦٦ - ط بيروت).

٧) وقال في قول اللّه تعالى: ﴿يد اللّـه فـوق أيدِيهـم﴾، ﴿وكـان عرشـه علـى المـاء﴾، ﴿وسـع كرسـيُّه السَّـموات والأَرض﴾، ﴿ثم استوى عَلى العرش﴾، ﴿ثم اسـتوى إلى

السماء﴾، ﴿والأرض جميعاً قبضتُهُ يوم القيامة والسَّموات مطويَّاتٌ بيمينه﴾، ﴿ولكنَّ اللّه رمى﴾، ﴿واللّه يقبض ويبسط﴾، ﴿وجاء ربُّك﴾، ﴿بَل يَدَاهُ مبسوطتان﴾، ﴿إنِّي متوفِّيك ورافعك إليَّ﴾: «إن هي إلاَّ جارية علىَ نَسَقٍ متّبع في التعبير، يرمي إلى توضيح المعاني المجرّدة وتثبيتها، ويجري على سنن مطّرد لا تخلُّف فيه ولا عوج؛ سنن التخييل الحسّي والتجسيم، في كل عمل من أعمال التصوير»، ورأى أنَّ ما قيل غير ذلك، [ومنه قول أهل السنَّة والجماعة كما تقدم]: «جدل... حينما أصبح الجدل صناعة، والكلام زينة». «التصوير الفني في القرآن» (ص ٦٨ - ط بيروت).

٨) وقال: «فأمَّا مجيء ربك والملك صفًّا صفًّا؛ فهو أمر غيبي لا ندرك طبيعته... كذلك المجيء بجهنم؛ نأخذ منه قربها منهم... فأمَّا حقيقة ما يقع وكيفيَّته؛ فهو من غيب اللّه المكنون». «في ظلال القرآن» (٦/ ٣٩٠٦-دار الشروق).

ب) لم يُبدِ الشيخ بكر مخالفةً للشيخ ربيع في إنكاره، ولا تاييداً للأستاذ سيِّد في تأويله صفات اللّه تعالى؛ فمنهجه منهج أهل السنة والجماعة (الذي صرح سيِّد بمخالفته فيما سبق): إمرار الصفة كما جاءت في كتاب اللّه أو سنة رسوله ﷺ على المعنى المعروف في اللُّغة، ونفي التكييف،

ووجوب الإيمان بذلك، والحكم بابتداع من أوَّلها، كما ورد عن الإمام مـالك رحمـه اللّـه: الاسـتواء معلـوم، [في لغـة العرب]والكيف مجهول، والإيمان به [بالاسـتواء] واجـب، والسؤال عنه [عن كيف استوى] بدعة.

جـ- ومـرّة أخـرى يتضـح أن منهـج سـيِّد في تـأويل الصفات كما هو في القول بخلـق لفـظ القـرآن هـو منهـج الأشاعرة، وخطؤه في كل ذلك تابع لأخطـائهم، عفـا اللّـه عنّا وعنهم جميعاً.

عاشراً: منهاج سيّد وأسلوبهُ في التفسير:

الكلام عن القول بخلق القرآن وتأويل الصفات في فكر سيِّد رحمه اللّه لا يكون وافياً بحـق البـاحث والقـارئ دون بيان منهاج سيِّد وأسلوبه في التفسير خاصة، بتقديم نمـاذج من كتبه التي لا يزال ورثته يطبعونها «طبعـة شـرعية» بعـد موته بعشرات السنين، دون تغيير.

أ) في كتاب سيِّد «التصوير الفني في القرآن» بيـان واضـح عن المنهاج الذي اختاره لتدبّر القرآن، وصـرَّح بمخالفتـه مـا كان عليه سلف الأمة جميعاً في عصر نـزول القـرآن، وعصـر الصَّحابـة بعـد انقطـاع الـنُّزول بمـوت النَّـبي ﷺ، وعصـر التابعين، وبقيَّة القرون المفضلَّة التي كان أهلها خير النـاس في الفقه في الدّين بشهادة رسول اللّه ﷺ، (مما أوحي إليه).

١) قال -عفا اللّـه عنّـا وعنـه-: «بعـض النّـاس [كـل علماء السّـلف القـدوة] حـين ينظـر في هـذه الموضوعـات [الأهـداف الدينيـة الـتي أنـزل اللّـه القـرآن لتحقيقهـا، والموضوعات الإلهية والتشريعية الـتي تناولهـا]، ويـرى مـا فيها من دِقَّـةٍ وعَظَمَـةٍ، وصلاحيـة ومرونـة؛ يحسـبها مـيزة القرآن الكبرى، ويحسب أنَّ طريقـة التعبـير القرآنيـة تابعـة لها... أمَّا نحن فنريد أن نقول إنَّ الطريقة التي اتبعها القرآن في التعبير هي التي أبرزت هـذه الأغـراض والموضوعـات؛ فهي كفاءُ هذه الأغراض والموضوعات» (ص ١٨٠).

٢) وقال -عفا اللّه عنّا وعنه- عن تدبُّر القرآن في عصر نزوله: «لقد تلقّوه مسحورين يسـتوي في ذلـك المؤمنـون والكافرون، هؤلاء يُسْحَرون فيؤمنون، وهؤلاء يُسْحَرون فيهربون، ثم يتحدث هؤلاء وهؤلاء عمّا مسّهم منه، فـإذا هو حديث غامض لا يعطيك أكثر مـن صـورة المسْـحُور المبهور؛ هذا عمر بن الخطاب يقول: فلما سمعـت القـرآن رقَّ له قلبي، فبكيت، ودخلني الإسلام... وهذا الوليـد بـن المغيرة يقول: واللّه إنَّ له لحـلاوة، وإنَّ عليـه لطـلاوة، ثـم يقول: إنْ هذا إلا سحر يؤثر، وهـذا القـرآن نفسـه يصـف أثره في نفوس المؤمنين به ونفوس الذين أوتـوا العلـم مـن قبله، بأنَّه ﴿تقشعرُّ منه جلود الذين يخشون ربَّهم ثـمَّ تلـين جلودهـم وقلوبهـم إلى ذكـرِ اللّـه﴾، و﴿إذا يتلـى عليه

يخرُّون للأذقان سجَّداً﴾، وهؤلاء كفَّارُ قريش يقولون في لجاجة الإنكار: ﴿أساطير الأوَّلين اكتتبها فهي تملى عليه بكرةً وأصيلا﴾، **هذا كله يقال، وهذا كله يقع، فلا تجد فيه صورة واضحة عن الجمال الفني في القرآن... وتلك مرحلة التذوُّق الفطري المباشر** (ص ٢٢-٢٣ - ط بيروت).

٣) ثم قال -عفا اللّه عنَّا وعنه- عن تدبر القرآن أو تفسيره في عصر الصحابة رضي اللّه عنهم بعد انقطاع الوحي بموت النبي ﷺ: «**فاذا تجاوزنا عصر نزول القرآن؛ رأينا بعض الصحابة يتعاطون تفسير القليل منه اعتماداً على القليل المنقول عن النبي ﷺ، وبعضهم يحاول في حذر وخشية أن يؤوِّلَ بعض الآيات، وبعضهم يمتنع من هذا خشية أن يكون فيه مأثم ديني**» (ص ٢٣ - ط بيروت).

٤) ثم قال عن التفسير في عهد التابعين: «فلمَّا كان عصر التابعين نما التفسير نمّواً مُطَّرداً، **ولكنَّهم كانوا يقتصرون في تفسير الآية على المعنى اللُّغوي الذي فهموه مِنَ الآية بأخصر لفظ**» (ص ٢٣ - ط بيروت).

٥) ثُمَّ قال عن التفسير في بقيَّة القرون المفضلة: «ثم أخذ التفسير ينمو ويتضخَّم ابتداءً من أواخر القرن الثاني، **ولكن بدلاً مِن أن يبحث عن الجمال الفني في القرآن وتناسقه مع الجمال الموضوعي البالغ حَدَّ الكمال، أخذ**

يغرق في مباحث فقهيَّة، وجدليَّة، ونحويَّة، وصرفيَّة، وتاريخيَّة، وأسطوريَّة، وبذلك ضاعت الفُرصة التي كانت مُهيَّأةً للمفسّرين لرسم صورة واضحة للجمال الفني في القرآن، وربطها بالكمال الموضوعي الذي يتجلَّى في القرآن» (ص ٢٤).

٦) ثم قال عن التفسير عند الخلف: «رجل واحد مُتأخِّر نوعاً، كان يقع له بين الحين والحين شيء من التوفيق في إدراك بعض مواضع الجمال الفني في القرآن، هو الزمخشري» [كبير دعاة الاعتزال في القرن السادس]» (ص ٢٤ - ط بيروت).

٧) ثم قال: «رجل واحد من الباحثين في البلاغة والإعجاز سابقٌ للزمخشري، بلغ غاية التوفيق المقدّر لباحثٍ في عصره، هو عبدالقاهر الجرجاني [النَّحوي الأشعري]، فلقد أوشك أن يصل إلى شيء في كتابه: «دلائل الإعجاز»، لولا أنَّ قصَّة المعاني والألفاظ ظلت تخايل له من أول الكتاب إلى آخره، فصرفته عن كثير مِمَّا كان وشيكاً أن يصل إليه... لقد كان النبع منه على ضربة معول، فلم يضربها» (ص ٢٦-٢٨ - ط بيروت).

ويتبيَّن ممَّا تقدَّم أَنَّ أكبر هَمٍّ سيِّد -عفا اللّه عنَّا وعنه- في تدبّر القرآن ما أسماه: «الجمال الفني»، وكان هذا

للأسف أهم ما جذب قرَّاءه إلى فكـره، ومـا شـغلهم عـن المباحث الفقهية والنحويَّة، وعن قصة المعاني والألفاظ التي ظن أن مَن سبقوه منذ عصر النبوَّة أخطأوا بالانشـغال بهـا وعدم البحث عن الجمال الفنِّي؛ فلم يقتنع بمنهاج السَّـلف في القرون المفضَّلة، ووجد قدوته عند الجرجاني الأشعري، وبدرجة أقل عند الزمخشري شيخ خلف المعتزلة.

ب) وإذا تميَّز سيِّد قطب على من سبقه ومن لحقه مِمَّن حاولوا تفسير القرآن الكريم «بضربة المعول في نبع الجمـال الفني في القرآن»؛ فلا عجب أَن يكـونَ أسـلوبه في التفسـير مخالفاً لأئمة التَّفسير والحديث والفقه في الدين، منـذ أنـزل اللّه كتابه المبين، حتى اتجه سـيِّد إلى «خدمـة الإسـلام مـن خلال القرآن العظيـم»، كمـا قـال الشـيخ بكـر في رسـالته الخاصة المفترى عليه نشرها؛ ليُبْعِد عن القـرآن مـا أَسمَـاهُ: «جناية الطريقة المتبعة في التفسير».

وكان من نتائج خروجه عن منهاج السَّـلف في التفسـير ما يلي:

١) وصف كـلام اللّـه تعـالى بمفـردات اللهـو والسّـحر والشّعوذة: الفن، والشعر، والتمثيل، والمسـرح، والسـينما، والتصويـر، والرسـم، والألـوان، والموسـيقى، والسـحر، والهيمنة، والتعويـذة، ولم يدّخـر بعـض تفاصيلهـا: الوَتَـر،

والإيقـاع، والجَـرْس، والمقطوعــة، والأصــداء، والنغــم، والألحان، والتشخيص، والمشــاهد المسـرحية والسـينمائية، والبطل، والنظّـارة، والسّـتار، والريشـة، والظـل، ووحـدة الرسـم، واللوحـة الطبيعيـة، وتناسـق الإخـراج، وتناسـق التصوير، والتناسق الفني... إلخ.

٢) وصف آياتٍ من سـورة الفجـر بالموسـيقى الرَّخيـة المتماوجة، ووصف آيات منها: بالعرض العسـكري الـذي تشترك فيه جهنّم بموسيقاها العسكرية المنتظمـة الدّقـات». «التّصوير الفنّي في القرآن» (ص ٧٦-٧٧ -ط بيروت).

٣) وصـف سـورة النازعـات بنوعـين مـن الموسـيقى: «السريعة الحركة، قصيرة الموجة، قويَّة المبـني، تنسـجم مـع جو مُكَهْرب سـريع النبـض، شـديد الارتجـاف» و«الوانيـة الحركة الرّخيَّة الموجة، المتوسطة الطول، تنسـجم مـع الجـو القصصي» المصدر نفسه (ص ٨٧).

٤) وصــف ســورة الضُّحــى: «بالموسـيقى الرتيبــة الحركـات، الوئيـدة الخطـى، الرقيقـة الأصـداء، الشــجيّة الإيقاع». المصدر السابق نفسه (ص ٩٧).

٥) وصف سورة اللَّيـل بـأنَّ «الموسـيقى المصاحبـة فيهـا أخشن وأعلى من موسيقى الضحى».المصدر نفسه (ص٩٩).

٦) وصف سورة العاديات «بموسيقى شبيهة بموسيقى النازعات، بل هي أشد وأعنف، وفيها خشونة، ودمدمة، وفرقعة». المصدر نفسه (ص ٩٨).

٧) وصف آيات في سورة الفجر «بالموسيقى الحادَّة التقاسيم». «في ظلال القرآن» (٦/ ٣٩٠٦-دار الشروق).

٨) وصف آيات أخرى في سورة الفجر بقوله: «يا لجمال النغم». المصدر نفسه (٦/ ٣٩٠٣).

٩) وصف سورة الفجر عامَّة بقوله: «إنَّها تؤلِّف ألوانا متنوعة، تؤلف من تفرّقها وتناسقها لحناً واحداً متعدّد النغمات، موحَّد الإيقاع». المصدر نفسه (٦/ ٣٩٠١).

١٠) وصف بعض آيات سورة الفجر بقوله: «وفي بعض مشاهدها شد وقصف، سواء مناظرها أو موسيقاها». المصدر نفسه (٦/ ٣٩٠٢).

١١) استنبط «موسيقى الدُّعاء المتموجّة الرخيَّة، الطويلة الخاشعة من قول اللّه تعالى: ﴿ربَّنا ما خلقت هذا باطلاً﴾، وقوله تعالى: ﴿ربَّنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن﴾، منسجمة مع الدُّعاء كلّ الانسجام بالتطريب، والتموج، والاسترسال». «التصوير الفني في القرآن» (ص ٨٧-٨٨ - ط بيروت).

١٢) استنبط «موسيقى الطُّوفان» من قـول اللّـه تعـالى: ﴿وهي تجري بِهِم في موجٍ كالجبال﴾. المصدر نفسه(ص٨٨).

١٣) وصف القرآن عامَّة بقوله: «القرآن يرسم صُـوَراً، ويعرض مشاهد يتوافر لها أدَّق مظاهر التناسق الفني في ماء الصـورة، وجـوّ المشـهد، وتقسـيم الأجـزاء، وتوزيعهـا في الرُّقعة الموضوعة». المصدر نفسه (ص ٨٨).

١٤) أَكَّد أنَّه يعني (ولا يكنّي) موسـيقى اللهـو حقيقـة بقولـه: «تفضّـل الموسـيقي المبـدع الأسـتاذ محمـد حسـن الشجاعي بمراجعة هذا الجزء الخاص بالموسـيقى في القـرآن الكريم، وكان له الفضل في ضبط بعض المصطلحات الفنية الموسيقيَّة». المصدر نفسه (ص ٨٠).

١٥) أَكَّـدَ أنَّـه يعـني (ولا يكنّـي) رسـم وصـور اللهـو بقوله: «تفضل الأستاذ الفنـان ضيـاء الديـن محمـد مفتّـش الرسم بوزارة المعارف بمراجعة هذا القسم الخاص بتناسـق الصور». المصدر نفسه (ص ٨٩).

١٦) قال في تفسير سورة الفلـق: «والتصويـر بـالألوان يلاحظ هذا التناسق (بين اللَّون الذي ترسم بـه، والتـدرج في الظلال) مع الفكرة والموضوع، كما يلاحـظ التوزيـع في المشاهد المسرحيَّة والسينمائية، والتصويـر في القـرآن يقـوم على أساسه، خُذ مثلاً سورة من السُّور الصغيرة الَّتي رُبَّمـا

يحسب البعض أنّها شبيهة بسَجْع الكهان أو حكمة السجاع، خذ مثلاً سورة الفلق؛ فما الجوّ الذي يراد إطلاقه فيها؟ جوّ التعويذة بما فيه من خفاءٍ وهينمةٍ، وغموضٍ وإبهام». المصدر نفسه (ص ٩٠).

١٧) جَمَعَ بين قول اللّه تعالى: ﴿وما علّمناه الشّعر وما ينبغي له﴾، وقوله تعالى عن الكافرين: ﴿بل هو شاعر﴾: بأن «القرآن الكريم صدق؛ إذ لا تتوفر له [للقرآن] القافية والتفاعيل، وإن توفرت له بقيّة خصائص الشعر الأساسيّة، ولكنّ العرب لم يكونوا مجانين، ولا جاهلين بخصائص الشعر يوم قالوا: إنّه شعر، لقد راع خيالهم بما فيه من تصوير بارع، وسَحَر وُجْدَانهم بما فيه من إيقاع جميل، وتلك خصائص الشّعر الأساسيّة إذا نحن أغفلنا القافية والتفاعيل». المصدر نفسه (ص ٨٠).

١٨) وَصَفَ كلام اللّه تعالى بأنّه أخذ مِن خصائص الشعر: «الموسيقى الداخلية، والفواصل المتقاربة في الوزن التي تغني عن التفاعيل، والتّقفية التي تغني عن القوافي، وضمّ إلى ذلك الخصائص التي ذكرنا: (التصوير البارع، والمنطق السّاحر، والإيقاع الجميل)». المصدر نفسه (ص ٨٠-٨١).

١٩) ضرب مثلاً لِمَا أخذه القرآن من الشعر؛ القافية، والإيقاع، والوزن، بقول اللّه تعالى: ﴿أَفَرَأَيتُم اللاتَ

والعزَّى ومناة الثَّالثة الأخـرى﴾ «فلـو أنَّـك قلـت: ومنـاة الثالثة؛ لاختلت القافية، وَلَتَأثَّر الإيقاع، ولـو قلـت: ومنـاة الأخرى؛ فالوزن يختل»، وبقول اللّه تعالى: ﴿قال ربِّ إنـي وهن العظم مني﴾ لو قلت: قال رب إنّي وهن منّي العظم، لأحسستَ بما يشبه الكَسْر في وزن الشعر، ذلك أن (منّـي) تتوازن مع (إنّي) هكذا: ﴿قال رب إنـي﴾ ﴿وهـن العظـم مني﴾». المصدر نفسه (ص ٨٢-٨٣).

٢٠) قال عن كلام اللّه تعالى: «فمرّةً يكتُم سر المفاجـأة عن البطل [بطل الرواية: موسـى]، والنّظّـارة [المتفرجـين: قارئي القرآن]؛ حتى يُكشف لهـم في آن واحـد»، في قصـة موسى مع العبد الصالح. (ص ١٤٠).

«ومرة يكشف السِّـرَّ للنظـارة (القـراء)، ويـترك أبطـال القصَّة عنه في عماية»، في قصة أصحـاب الجنَّـة إذ أقسـموا ليَصرِمُنَّها مُصبحين ولا يستثنون، «وقد ظَلَلْنَا نحن النَّظَّـارة نسخر منهم وهم يتبادرون ويتخافتون، حتى انكشـف لهـم السّرّ أخيراً بعد أن شبعنا تهكُّماً وسـخراً». المصـدر نفسـه (ص ١٤٢).

٢١) قال -تجاوز اللّه عنَّا وعنه- عن قـول اللّـه تعـالى: ﴿إذن لذهب كلُّ إله بما خلق﴾: «إنَّها لصورة مضحكـةٌ أن يأخذ كلّ إله مخلوقاته، إلى أين؟ لا نـدري! ولكننـا نتخيـل

هذه الصّورة فنضحك من فكرة تعدّد الآلهة إذا كانت نتيجتها هذه النتيجة». المصدر نفسه (ص ١٧٤).

٢٢) ضرب مثلاً بقول اللّه تعالى: ﴿يوم يدعون إلى نار جهنّم دعًّا﴾: «لاشتراك الجَرْس [مِن الموسيقى]، والظّلّ [من الرّسم]، وشرّح لفظ الدَّعِّ فوجده قد «جمع بين الدَّفع في الظهر بعنف، والصوت الذي يخرجه المدفوع، فيه عين ساكنة، هكذا (أع)». المصدر نفسه (ص ٧٥).

« رأي العالِمَينِ المحقِّقَين في منهاج سيِّد وأسلوبه »

أ) أمّا الشيخ ربيع -حفظه اللّه قدوة صالحة- فكُتُبُه: «أضواء إسلامية على عقيدة سيِّد قطب وفكره»، و«مطاعن سيِّد قطب في أصحاب رسول اللّه ﷺ»، و«الحد الفاصل بين الحق والباطل»، و«العواصم مِمَّا في كتب سيِّد قطب من القواصم»؛ تبيِّن مخالفَتَهُ التّامة، وإنكاره الشّديد لمنهاج سيِّد رحمه اللّه وأسلوبه، وتكفير بعض أقواله وأحكامه، وإن صرَّح بعدم تكفير شخصِهِ.

ب) وأمّا الشيخ بكر -حفظه اللّه قدوة صالحة-: فكلُّ كتبه تظهر موافقته للشيخ ربيع عموماً في إقراره وإنكاره، ولكن رسالته (المفترى عليه نشرها) لأخيه خالَفَتهُ في أسلوب نقده لفكر سيِّد قطب رحمه اللّه منهاجاً، وأسلوباً، والفتاوى

العامة هي ما يعتدُّ به؛ أمَّا الرسائل الخاصة، فتحكمها أحوالها الخاصة، ولا وزن لها إذا خالفت الفتاوى العامَّة:

١) وصف الشيخ بكر أسلوب سيِّد بالتَّحليق في رسالته الخاصّة (المفترى عليه نشرها)، (ص٧)، وبالسموّ (ص ١١).

وَصِفَةُ التَّحليق لا مشاحّة في استعمالها للصالح والطالح؛ فهي كما قال وفقه اللّه عن التوقير تصلح للمدح وللذمِّ، فكما أن كُلاً يُوَقَّرُ بما يَستحق، فإنَّ كُلاً يُحَلِّق على شاكلته: النّسور والعقبان، والرَّخم والغربان، ووَصَفَ باحث محقق ثالث (أبو عبد الرحمن بن عقيل) هداه اللّه أم كلثوم (بنت إبراهيم) بالتحليق في كتابه «شيء من التباريح»، وأكثر تحليق العرب اليوم في الخيال، ردَّهم اللّه إلى دينه رداً جميلاً.

وأمَّا السُّمُوّ فلا أظُنُّ الشيخ بكر بعد قراءة كافية لما كَتَب سيِّد قطب، أو كُتِب عنه «إلاَّ في أوبة إلى العدل والإنصاف» إذا وزن أقوال سيد رحمه اللّه بميزانه الذي اختاره لكل مسلم وبخاصة في كتابيه: «معجم المناهي اللفظية»، و«فقه النوازل»، (المواضعة في الاصطلاح)؛ فقد أنكر معظم المصطلحات الحديثة التي أشاعها سيِّد رحمه اللّه في الأمة مثل: عالمية الإسلام، موقف الإسلام من الربا، رأي الشرع ورأي الدين ورأي الإسلام، تطور الفقه

الإسلامي، أسلمة المعرفة، الفكر الإسلامي، التَّصوُّر الإسلامي، تقنين الأحكام، قانون الأحوال الشخصية، وإليك المثال مضافاً إلى ما سبق:

قال سيِّد رحمه اللّه: «إنَّ شريعة اللّه تعني كل ما شرعه اللّه لتنظيم الحياة البشرية، وهذا يتمثل في أصول الاعتقاد والحكم... **ثم يتمثل في التشريعات القانونيَّة التي تنظم هذه الأوضاع، وهو ما يطلق عليه اسم الشريعة غالباً بمعناها الضيق الذي لا يمثل حقيقة مدلولها في التَّصوُّر الإسلامي**». «معالم في الطريق» (ص١٣٦-دار الشروق).

أمَّا المعنى الواسع للشريعة عند سيِّد «فيشمل أيضاً المعرفة بكلّ جوانبها، وأصول النشاط الفكري والفني جملة... أمَّا الأمر الذي قد يكون غريباً، فهو **الرجوع في شأن النشاط الفكري والفني إلى التَّصوُّر الإسلامي ومصدره الرَّباني**... وفي النشاط الإسلامي صدر كتاب كامل». [منهج الفن الإسلامي لمحمد قطب]. المصدر نفسه (١٣٦- ١٣٧).

٢) نقل الشيخ بكر وفَّقه اللّه عن ابن تيميَّة رحمه اللّه قوله: «لا يحل امتحان الناس بأسماء ليست في الكتاب والسنة؛ فإنَّ هذا خلاف ما أمر اللّه به ورسوله ﷺ».

وعن ابن القيم رحمه اللّه قوله: «ينبغي للمفتي أن يفتي بلفظ النَّصِّ مهما أمكَنَه، فإنَّه يتضمن الحكم والدَّليل؛ فهو حكم مضمون له الصواب، متضمن للدليل في أحسن بيان، وقول الفقيه المعيّن ليس كذلك، وقد كان الصحابة والتابعون والأئمَّة الذين سلكوا على منهاجهم يتَحَرُّون ذلك غاية التَّحرّي، **حتى خلفت من بعدهم خلوف رغبوا عن النصوص، واشتقوا لهم ألفاظاً غير ألفاظ النُّصوص، فأوجب ذلك هجر النُّصوص**». «التقنين والإلزام» (ص ٩٢ - ط٢ ١٤٠٣).

٣) قال الشيخ بكر وفقه اللّه في معرض إنكاره بعض المصطلحات القطبية مثل: روح الدين الإسلامي، وروح الشريعة، وروح الإسلام: «أهل العلم في هذا الزمان يعيشون في زحمة زحف مهول من عاميَّة الثقافة المعاصرة، ومن توليد المصطلحات، ومن الوقوع في دائرة اصطلاح المتصوفة من حيث لا يشعرون، ومن هذه هذا اللَّفظ ونحوه». «معجم المناهي اللفظيَّة» (ص١٧٣-دار ابن الجوزي).

٤) قال الشيخ بكر -زاده اللّه توفيقا وتسديداً-: «لفظ الروحانية، وهذه البلاد فيها روحانية، وهذه المجالسة فيها روحانية وهكذا، كلُّها مصطلحات صوفيَّة لا عهد للشريعة بها؛ فعلى المسلمين تجنّبها وإن كان لها بريق، فعند تأمُّل

البصير لها يجدها خواء أو تشتمل على منابذة للشريعة بوجه ما». «معجم المناهي اللفظية» (ص١٧٣-دار ابن الجوزي).

قلت: وأخذها الصوفيَّة من الوثنيّة مع كثير من المعاني والمظاهر (من: الفناء، والوحدة، والعشق الإلهي، والحلول إلى: التّنسّك و التّرهب وهزّ الرأس أو الجسم عند الذّكر، واستعمال المسبحة)، أو مِن النصرانية Spirituality في الانكليزية للمصدر و: Spiritual للصِّفَة، ومصدرها الأوّل: الوثنية الهنديّة ثم اليونانية نفسها.

٥) وقال: «فعلى المسلمين نبذ المصطلحات المولَّدة الرّكيكة في معناها ومبناها، والتي تقطع الصلة بحبل العلم والإيمان... في فوضى الاصطلاحات التي تذبح الأصالة، وتقتل الذات، وتُفقد الخصوصية والتميُّز الحضاري، وتَجعل المسلم في إطار مصطلحات غريبة عن دينه ولغته، ويعيش في دوامة من التناقض بين اعتقاده وثروة أسلافه، وبين ما يسمعه ويعيش في منظومته الحضارية». «معجم المناهي اللفظيَّة» (ص ٢٤٤ - دار ابن الجوزي).

فضلاً عن وصف القرآن بالموسيقى والتصوير والتّمثيل والفنّ والشعرّ والتعويذة والسحر والصورة المضحكة... إلى آخر ما أحدثه سيّد تجاوز اللّه عنّا وعنه في التفسير العصري، وشغل به المسلمين عن تدبّر معاني كتاب اللّه عزّ وجلّ.

٦) ومن حيث المنهاج، وهو ما يصعب فصله عن الأسلوب في فكر سيِّد رحمه اللّه؛ فإنَّ الشيخ بكر يخالف سيِّد في كل ما خالفه فيه الشيخ ربيع: في القول بوحدة الوجود، أو الإيهام به، وانتقاص نبي اللّه موسى عليه الصلاة والسلام، وعثمان رضي اللّه عنه وعهده، وعدد من السابقين المهاجرين المشهود لهم بالجنَّة والذين مات رسول اللّه ﷺ وهو عنهم راض وغيرهم، وفي جواز تغيير أو إلغاء حكم الرِّق تمشياً مع العرف العالمي، ونزع الملكيَّات والثروات المكتسبة بوسائل شرعيَّة، وفرض الضرائب لتحقيق الخدمات العامة، وفي تحريم الكسب بغير طريق العمل، وفي القول على اللّه بغير علم في التفسير العصري، وفي محبَّةِ كلّ مخلوق وموادة كل كافر إلا الحربي، وفي تكفير مجتمعات المسلمين المعاصرة، وفي القول بخلق حروف القرآن، وفي تأويل صفات اللّه تعالى وردّ قول السَّلف (بالإيمان بمعانيها وعدم إدراك كيفيَّاتها)، وفي إنكار حقيقة العرش والوزن واستواء اللّه على العرش ومجيئه... إلى آخر ما اضطرب فيه فكر سيِّد -عفا اللّه عنَّا وعنه- وتناقض بين الإثبات والوجود، وبين الحقيقة والتَّخييل، والتجسيم التصويري.

« خلاصة البحث »

أ) كشف سيِّد رحمه اللّه أهمَّ سبب لخروجه عن منهاج السَّلف في كثير من مواضع الجدل في فكره؛ فقال في تفسير قول اللّه تعالى: ﴿وأنَّا لمسنا السَّماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً . وأنَّا كنَّا نقعد منها مقاعد للسَّمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً﴾: «فأمَّا الذين يرون في هذا كله مجرد تمثيل وتصوير لحفظ اللّه للذِّكر من الإلتباس بالباطل، وأنَّه لا يجوز أن يؤخذ على ظاهره، **فسبب هذا عندهم [وعند سيّد -كما تقدم- عفا اللّه عنا وعنه]؛ أنَّهم يجيئون إلى القرآن** بتصوّرات مقرَّرة سابقة في أذهانهم أخذوها من مصادر أخرى غير القرآن، [بل من فكر الفلاسفة والمتصوفة والمعتزلة والأشاعرة والملحدين] ثم يحاولون أن يفسّروا القرآن وفق تلك التصورات، [بل هم يُحِلُّونَ ما حرَّم اللّه من التشريع بغير إذنه، ويحرِّمون ما أحلّ اللّه من التَّملُّك بغير العمل، أو أكثر من الحاجة أو الضرب في الأرض ابتغاء فضل اللّه]...من أين جاؤوا بهذه المقرَّرات التي يحاكمون إليها نصوص القرآن والحديث؟

إنَّ الطريقَ الأمثل [بل الوحيد].. فهم القرآن وتفسيره [وفق بيان النبي ﷺ وفهم وتفسير صحابته وتابعيهم في

القرون المفضلة رضي اللّه عنهم أجمعين]، ومن ثَمَّ لا يُحَاكم القرآن والحديث لغير القرآن [والحديث بفهم الأئمَّة الأُوَل]، ولا يُنْفي شيء يثبته القرآن [والسنَّة] ولا يؤوَّل، ولا يثبت شيء ينفيه القرآن [والسنَّة] أو يبطله، نقول هذا للمؤمنين بالقرآن، وهم مع ذلك يؤولون نصوصه لتوائم مقررات سابقة في عقولهم وتصورات سابقة في أذهانهم لما ينبغي أن تكون عليه حقائق الوجود».

ثم كتب في الحاشية: «وما أبرئ نفسي، إنّي فيما سبق من مؤلفاتي وفي الأجزاء الأولى من هذه «الظلال» [بل وفي الأجزاء الوسطى والأخيرة كما تقدم] قد انْسَقْت إلى شيء من هذا [وغيره]، وأرجو أن أتداركه في الطبعة الثانية إذا وَفَّق اللّه، وما أقرره هنا هو ما أعتقده الحق بهداية من اللّه». «في ظلال القرآن» (٦/ ٣٧٣٠ - ٣٧٣١ - دار الشروق الطبعة الشرعيَّة».

وقد توفَّاه اللّه قبل أن يتدارك ما تبيَّنه من أخطائه وما لم يتبيَّنه، ولا أظن ورثته هداهم اللّه وأخصُّ مقدَّمهم أخاه الأستاذ محمد قطب يَسْلَمون من الإثم بإصرارهم على الاستئثار دونه بالمغنم من ريع الطباعة، ويشاركونه أو ينفردون بالمغرم لنشر أخطاء بالغة تسيء إلى الإسلام والمسلمين أَعلَنَ رحمه اللّه العزم على الرجوع عن بعضها،

وكذلك لا أظنُّ القائمين على الطباعة والنشر في العالم المسلم يَسلَمون مِنَ الإثم، إذا لم يتداركوا هذا الأمر، ويوقفوا نشر هذه الأخطاء، بل هذه الكتب وأمثالها.

ب) ركز سيِّد رحمه اللّه أكبر جهده واهتمامه على ما سمَّاه الحاكميَّة والتشريع؛ بما فيه اتباع التقاليد والأعياد، والعادات والأزياء مِمَّا لا يتجاوز الصغيرة إذا كان معصية، وأهمل أكبر الكبائر التي أحاطت به من المهد إلى اللَّحد (لو وُجدَ اللَّحد):

أوثان وأنصاب الجاهلية في كلّ زمان ومكان منذ قوم نوح: المزارات، والمشاهد، والمقامات، والأضرحة؛ أصل الأوثان والأصنام، بل هوّن -تجاوز اللّه عنا وعنه- من أمر الأوثان والأصنام التي أرسل اللّه جميع الرسل لهدمها بأنها ساذجة، لم يُشرك الأولون بسبب التقرب والاستشفاع بها إلى اللّه، ولم يُسْلِموا بتركها واعتقاد أن لا إله إلا اللّه، والتعبد للّه بأركان الإسلام، كما تقدم.

جـ) وركَّز رحمه اللّه جهده وهمَّه على محاربة الثروة، وما تنتجه من فروق الطبقات، وأنسي قول اللّه تعالى: ﴿أَهُم يقسمون رحمة ربك نحنُ قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدُّنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات لِّيَتَّخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربِّك خير مما يجمعون﴾.

وقاده هذا الخطأ إلى الوقوع في عرض عثمان رضي اللّه عنه، وعدد من كبار الصحابة والتابعين رضي اللّه عنهم أجمعين، وتحريم الضرب في الأرض ابتغاء فضل اللّه.

وقاده هذا الخطأ إلى إباحة أو إيجاب نزع الملكيات وتأميم الممتلكات الشرعيَّة، والاستيلاء على نسبةٍ من الربح أو رأس المال، وفرض الضرائب الخاصة والعامّة، والثورة على الحاكم إذا فضّل بعض الناس في توزيع المال العام.

د) تناقَضَ فكره رحمه اللّه واضطرب بين إثبات وحدة الوجود (الصوفية الوثنية) ونفيها، وبين موادة الكافرين غير المحاربين ونفيها (باختلاف العقيدة)، وبين الحثّ على التّمتُّع بالحياة الدنيا إرضاء للّه ولَمز صحابي مبشَّر بالجنة بأنَّه بنى دارةً بالعقيق رفع سمكها وأوسع فضاءها، وبين تقريره اتساع المال العام عن المقررات للناس في عهد عثمان رضي اللّه عنه وادِّعائه تفشي الفقر والبؤس، ومثل هذا كثير يصعب إحصاؤه.

هـ) استند في غالب فكره على روايات الأخباريين والمؤرخين بغير إسناد، وعلى رأيه في تفسير القرآن الذي صرح بمخالفته للسَّلف منذ زمن نزوله، بل استند في فقه الأحكام على رواية عن عبد الرحمن عزام عن قبيلة الطّوارق تؤيد اشتراك الناس في المال، ونفى الحاجة إلى

علوم الأزهر بدليل أنّه ألف كتابين عن الإسلام دون الرجوع إليها (بل إلى الشعر الحديث، والأمثال الشعبية، وآراء واصطلاحات الموسيقيين والرّسامين والممثّلين والمصوّرين في تدبر كلام اللّه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه).

و) لعلَّ تأثيره في الأمة منذ تحول إلى ما سمَّاه بالفكر الإسلامي إلى اليوم أعظم من تأثير أي مسلم آخر، وبخاصة في قضايا الحكم والمال.

وليس من المستبعد أن يكون فكره المحرّك الأول للثورة المصرية، وبخاصة في مسائل نزع الملكية، وتأميم الممتلكات الخاصة، وفكرة «العاطلين بالوراثة» عندما كان «يعمل مع قادتها ومع من يحيط بهم أكثر من اثنتي عشرة ساعة يوميّاً». «لماذا أعدموني» (ص١٢و١٤).

وكان تأثير فكره واضحاً في وجود جماعات التكفير، وأحزاب التحرير والجهاد، لتركيزه على قضايا فكريَّة غير شرعية مثل: لا طاعة لإمام غير عادل، ولو كان يقرّ أنَّ الحاكمية [العبوديَّة عنده] للّه وحده ويحكم بشريعة اللّه ولكنَّه لا يعدل في الحكم؛ استناداً إلى روايات غير صحيحة عن أبي بكر وعمر بن الخطاب وعمر بن العزيز رضي

اللّه عنهم». «العدالة الاجتماعية» (ص ١٥٨ - دار الشروق ١٤١٥هـ). وفي هذا مخالفة صريحة لحديث الصَّحيحين عن جابر رضي اللّه عنه: «بايعنا رسول اللّه ﷺ على السمع والطاعة في العسر، واليسر، والمنشط، والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله».

ومثل قراره أنَّ «قاعدة الإسلام الأصيلة في الحكم: اختيار المسلمين المطلق هو المؤهل الوحيد للحكم» المخالف لكل الولايات الشرعية في القرون المفضلة منذ عهد أبي بكر رضي اللّه عنه، والموافق لحكم الأكثريّة في النّظم «الديموقراطيّة القانونيّة».

ز) و«نحن نقول: غفر اللّه لسيد» إقدامه على تأويل كتاب اللّه بغير علم، ومخالفة فقهاء ومحدّثي ومفسّري هذه الأمَّة في المنهاج والأسلوب، ومرة أخرى نقرِّر أنَّنا لا نَشُكُّ في صلاح نيَّته ورغبتِهِ في خدمة الإسلام، وأنَّه حريٌّ بتصحيح أخطائه لو عرف طريق الحق من نصوص الوحي بفهم أئمَّة العلم في القرون المفضلة، ولم يعتمد على تصوراته كما قال عن نفسه وعن غيره من المفكّرين.

وجزى اللّه الشيخ ربيع بن هادي المدخلي خير جزائه لمحاولته رَدّ شباب الأمَّة إلى شرع اللّه، وتحذيرهم من فكر التّكفير والانعزال.

وجزى اللّه الشيخ بكر بن عبد اللّه أبو زيد خير جزائـه لمحاولته تصحيح أسلوب نقد المسلم للمسلم.

وصلى اللّه وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبـه وأتباع سنته إلى يوم الدِّين.

محتوى البحث

المقدمة..... .... ٣
وجوه اتفاق الرأيين واختلافهما..... ٥
اتفاقهما على المنهاج النبوي..... ٦
اتفاقهما على الوسيلة النبوية..... ٧
اختلافهما على الأسلوب والأداة..... ٧
اتفاقهما على تحريم التحزب..... ٩
اتفاقهما على منهاج الدعوة..... ١٣
اتفاقهما على مخالفة فكر سيد..... ١٧
ميزان النقد الشرعي..... ١٨
أهم مواضع الجدل في فكر سيد..... ٢١
١) ذم موسى عليه السلام..... ..... ٢١
٢) ذم عثمان رضي الله عنه وعهده..... ٢٤
٣) لمز عدد من كبار الصحابة رضي الله عنهم..... ٣٠
٤) القول بأحادية الوجود..... ٣٥
٥) إباحة التشريع للمصلحة والعرف ٤١

٦) جهل معنى لا إله إلا اللّه والألوهية والربوبية..٤٦
٧) تكفير المسلمين.....٥١
٨) القول بخلق حروف القرآن.....٥٨
٩) تأويل صفات اللّه تعالى.....٦٠
١٠) منهاج سيد وأسلوبه في التفسير.....٦٤
رأي العالِمَين في منهاج سيد وأسلوبه.....٧٤
خلاصة البحث.....٨٠